TAG - 398.9 - 01/03

سجل تحت رقم 1463
بتاريخ 27 ماي 2008
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
مكتبة الكلية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم : الثقافة الشعبية **التخصص : أدب شعبي**

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

موضوع الرسالة

جدلية العنف والسلم في المثل الشعبي الجزائري

إعداد الطالب :
العبدلي برحال

إشراف الدكتور:
محمد زمري

لجنة المناقشة

- د. رشيد بن مالك _____ رئيسا
- د. محمد زمري _____ مشرفا
- د. عبد العالي بشير _____ عضوا
- د. رابح سنايسي _____ عضوا
- د. طاهر بوغازي _____ عضوا
- د. محمد السعيدي _____ عضوا

السنة الجامعية : 2001-2002م / 1422 - 1423هـ

الإهداء

إلى الذي سهر اللّيالي ، دومـــاً لأجل تربيتي...
إلى الذي واجه صعاب الحياة لغرض نجاحي و تعليمي...
إليك والدي أهدي ثمرة جهدي...

إلى التي احترقت كالشمعة لتضيء الجوّ العائلي حناناً...
إليك دوماً أعيش و لأجلك أبذل قصار جهدي لإرضائك...
إليك أمّـي أرسـل كلمـات إعترافيـة علـى كـلّ لحظـة حملـت في طياتهـا حنانك و عطفك و هلمّ جرّا...

بفضلكما تربيت ، تعلّمت ، تكوّنت...
بفضلكما أنجح دوما بلا منازع ... إرضاءكما جعلني أشعر دوماً بالارتياح و لما لا النجاح.
أحياكما الله دوما و أطال بقاءكما لي إن شاء العليّ القدير...
إلى كلّ من ساعد من قريب أو من بعيد بكلمة طيبة ساهمت في إثراء البحث.
إلى كلّ الزملاء – أساتذة – عمّال – جزيل العرفان و التقدير أهدي هذا العمل المتواضع – و بالخصوص الصديق الحميم إلياس الذي كان له الفضل في اكتمال هذه الثمرة العلمية و على أحسن شكل.

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم :

"اللهم إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع ، و من قلب لا يخشع ، و من نفس لا تشبع"

تـشـكـــــرات

أتقدم بجزيل التشكرات إلى كل من ساهم في إثراء هذا البحث من قريب أو من بعيد، و أخص بالذكر أساتذة كلية الآداب و العلوم الاجتماعية و الإنسانية، قسم الثقافة الشعبية.

كما أتقدم بجزيل العرفان و التقدير للأستاذ الدكتور محمد زمري لتقبله الإشراف على هذا العمل فحقا كان شجرة أمدنا من ثمارها و كان أبا مشرفا متتبعا خطوات هذا البحث.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر اللجنة التي قبلت مناقشة و تتبع ثنايا هذه الرسالة و أخص الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، رئيسا، والأساتذة:بشير عبد العالي، طاهر بوغازي، ورابح سنايسي، محمد دسعبدي.

مقدمة

المقدمة

حمدا لمن بيده زمام الأمور، يصرّفها على النحو الذي يريده، وبعد:

صدق الإمام عليّ -كرّم الله وجهه- حين قال:

وما الفخر إلاّ لأهل العـــلم أنّهم على الهدى لمن استهدى أدلاّء

وقدر كلّ امرئ لما كان يعلمـــه والجاهلون لأهل العـــلم أعداء

ففز بعلم تعش حيّـــــا به أبـــدا الناس موتى وأهل العِلم أحياء

ليس من شكّ أنّ مهمّة الباحث في التراث الشعبي، تقتصر أساسا في الوقوف على موروثاته المودعة المتصلة بالبيئة ومدى تفاعلها إيجابا وسلبا، وهذا التفاعل تتفتق من خلاله عبقرية الإنسان وهو يواجه محيطه المتجدد بهمومه ومشاكله، واثر ذلك على نفسه ومشاعره مما ينشأ عنه تراكم للتجربة التي هي نواة المعرفة بلا منازع، وهذه المعرفة الشعبية المتوارثة جيلا بعد جيل المتناهية عبر مسيرة الإنسان التاريخية بلا شك.

وما يلفت الانتباه هو أن هذه المعرفة الشعبية تظل تستمد مقوماتها من الموروث العقدي لدى الشعوب،بل إننا نجده يشكل محورها وتوجهها الأخلاقي والفني في شتى إبداعاتها الفكرية.

إن الموروث العقدي هو الأساس الثقافي للشعوب، يظل ممتدا في غضون كيانها الاجتماعي والنفسي والحضاري ويظل مرسوما في أشكال وألوان تختلف باختلاف تطلعات الشعوب واهتماماتها، فنحن على اتصال مباشر بمظاهر لصور من المعتقدات التي مضت ونضفي عليها الطابع المسحي الذي يبرز وجودها لتظل قائمة في الأذهان وعلى سبيل الذكر ترسبات العادات والتقاليد في الحياة اليومية.

إذا تتبعنا هذا التراكم الثقافي للجماعات التي ندرسها، نجد الصعوبة في الوقوف عليها وفهمها وإعادة بنائه من جديد لرصد معالم التوجه الثقافي لا غير.

فالتراث أنشأته الجماعة دون اتفاق، منبعه التجارب مراميه إدراك مغزاة دون تسجيل وتقييد إلا فيما ندر، مركزين على تسجيل الذاكرة مع ما يعتريها من عوامل تعرض المواقف والتجارب حسب مقتضيات الجماعة وعواطفها وشعورها، وقد عم ذلك مختلف نشاطات الإنسان وأفعاله وأقواله، ومنها الأمثال التي تتكفل بالتعبير عن جزء لا يستهان به من ذلك وأصبح من الصعب على الدارس ضبطه وتوجيهه في يسر، ذلك أن الأشكال الشفوية منها قابل للتبديل والتغيير بسرعة.

وقد كان هذا وغيره من الولوع بجماليات حقل الثقافة الشعبية الرحب حافزًا لنا على أن نقوم بعملية الجمع الميداني للتراث الشعبي وبخاصة الأمثال التي تعرف رواجا كبيرا في المجتمع الجزائري وقد جذبني إلى الأمثال الشعبية العربية عامة والجزائرية بخاصة غيرتي وحبي لهذا الوطن الغني بمضمونه الفكري وجماله التصويري، لغرض الإفصاح والدراسة وأن تهدف – فيما تهدف – لا لإنجاز هذا العمل فقط بل لإنجاز مرجعية غنية بتجارب السابقين، وقد كان شيء منه ونحن نتمعن خلال رحلتنا المتواضعة بين الأوساط الشعبية وآراء الأساتذة الباحثين المختصين والمكتبات، ذلك أن الأمثال لم تعرف دقة النظر فيما له علاقة مباشرة بحديث الخاص والعام، وما يعرف دورانا على ألسنة الشعوب العربية بخاصة تجاه فكرة العنف والبحث الجاد عن فكرة السلم مع حتمية التعايش الجماعي وكذا ارتباط المصلحة الفردية بالمصلحة الجماعية... كل هذا وغيره عرض ذاكرته لنسيان تراثه كلما تقدم الزمن، وبدأت تحل محله اهتمامات أخرى لا أساس لها بالماضي، كما أن هذه الحياة الجديدة ليس لها نفس الصدى الذي كان للأحداث في الماضي في ثقافته.

وقد برزت السهولة ونحن نقف على خبايا الأمثال الشعبية التي تمثلت في الاكتشاف للتجارب وصدق التعبير، والصعوبة تبقى هي المعين في الوقوف على التدليل والبرهنة والتي دفعتنا بحلم ورفق إلى ضبط صحة الأمثال في شتى

التدليل والبرهنة والتي دفعتنا بحلم ورفق إلى ضبط صحة الأمثال في شتى الموضوعات المطروقة، وأخص بالذكر والتحديد "جدلية العنف والسلم" في غضون المثل الشعبي مآله النصح والتوجيه. وقد جمعنا ما تيسر من الأمثال انتقينا منها ماله علاقة بالموضوع، وتركنا الباقي لمن له ولوع بها وما يتصل في الدراسة بمواضيع تنتظر من يخلصها من الإفصاح وتحديد مظاهرها وخباياها.

أضف إلى ما سبق ذكره لم نكتف بالرواية الفردية، بل كنا نسأل بعض العارفين عن صحة ما روي لنا عن شيوعه حتى نتأكد من بيئته ومكانه معتمدين على تسجيلها وتصنيفها ثم وصفها لتباين دلالاتها الاجتماعية والنفسية وأبعادها الأخلاقية كل هذا كان ضمن دراسة متأنية.

وجاءت مقسمة إلى فصلين وخاتمة كانت حوصلة لعناصر البحث.

وقد اخترنا فصلا تمهيديا تحت عنوان: المثل الشعبي مفهومه وطبيعته، وتتبعنا فيه ضبط حقيقة مرجعية المثل ومراميه وما يهدف إليه من خلال عرض تعاريف انتقيناها في اللغة العربية في أصله ودلالاته التي أشار إليها الدارسون العرب والغرب، ثم تناولنا في الفصل الأول مفاهيم العنف وأشكاله وأنواعه التي تنوعت بين المفهوم الاجتماعي والنفسي لما رأيناه يرتبط بالأمثال للتدليل والبرهنة بعد التحليل، ثم في الفصل الأول دائما بدأت الدراسة التحليلية المتمثلة في دلالات ومعاني العنف في حقل الأمثال الشعبية.

أما الفصل الثاني كان تحت عنوان: مفهوم السلم وأبعاده في المثل الشعبي. فوقفنا على معاني مصطلح السلم وربطه بالبعدين الأخلاقي ثم الاجتماعي فحددنا من خلال تصنيف للأمثال التي لها علاقة مباشرة بالبعدين من خلال صور الحياة الاجتماعية، "الأسرة والمجتمع"، العمل ثم القيم الأخلاقية، وفصلنا القول في دلالة المثل على هذه الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة، في تكوين أسرة مسالمة وبين الأبناء والأقارب في علاقاتهم ببعضهم البعض في بيئتهم. آخرا وليس أخيرا توصلنا إلى استنتاج هام أنار الضوء وكشف اللثام عن الجدلية بين ثنائية العنف والسلم، ثم الخاتمة كانت حوصلة لكل عينة من عينات الدراسة من أولها إلى

آخرها، وبعدها ألحقنا جانبا خاص بالأمثال الشعبية المرتبطة كل الارتباط بالموضوع مصنفة ومحكمة. ثم قائمة المصادر والمراجع والدوريات مرتبة ترتيبا محكما والهدف المرجو من وراء هذا الجهد الفائدة العلمية للجميع.

والله أسأل التوفيق والسداد.

اللهم يسر وأعن

تمهيد

المثل الشعبي مفهومه وطبيعته

تمهيد:

المثل الشعبي مفهومه وطبيعته:

إن كل أمة من الأمم تملك تراثا شعبيا ينّم على انتمائها الحضاري ويكشف عن عبقريتها، ويبرز كنوزها الثقافية والأخلاقية ويجسّم صراعاتها وطموحاتها في الوجود.

ولا شك أن بلادنا تزخر برصيد فكري ضخم من هذا التراث الذي لازم مسيرة تاريخها وعبر عن خباياها اللامتناهية طوال الزمن، أضف لهذا فنون الأدب الشعبي بمختلف أشكاله وأوجهه، وإذا حصرنا اهتمامنا على أدب الأمثال وتأملنا فيه بعمق فإننا لا محالة نجده من دون ريب الأداة الخلاقة لتصوير أخلاق المجتمع وانتمائه ودوره في الوجود.

إن قوام الأمثال هو ذلك التعبير الصادق عن طبيعة الحياة لأنها تصور بدلالاتها العميقة وأشكالها الموحية العادات والتقاليد التي تميز شخصية الإنسان وتبرهن على عمق المشاعر وبعد النظر ونضج التفكير عند قائليها، كما أنها تعد المقياس الصحيح لمستوى الأمة في شتى الميادين الاجتماعية والفكرية والصناعية والزراعية، لذا تنوعت أغراضها فتناولت الأخلاق والحكم فاتخذت وسيلة للتربية والإصلاح وبث الوعظ كما اتخذت أيضا للتسلية والفكاهة، وما يضرب بأصولها في عمق التاريخ موجود بقدر أكبر ومنها ما يعبر عن العهود المجاورة لنا.

إن الواقع اليوم يلح أكثر على جمع هذا التراث وفق أحدث المناهج وأقربها إلى الصواب ثم غربلة هذا الأدب ونبذ ما ليست فيه قيمة أدبية أو خلقية أو تعليمية

أو اجتماعية لأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يقف هذا التراث عائقا أمام تقدم وازدهار ورقي المجتمع ولا يمكن أن نقبل منه ما علق به من رواسب من شأنها أن تحدث ظروفا موضوعية تؤدي بدورها إلى تأخر وتقهقر بل تساعد على بروز مضادة.

إن هذا التراث الشعبي يعد وجها بارزا صنعته جماعة دون اتفاق، انطلاقا من إقرار التجارب وقبولها تلقائيا دون تسجيل وتقييد إلا فيما ندر.

فالأمثال إذن ومضة عذبة تحمل إلينا العبرة المفيدة والحكمة العميقة والصور المفرحة، مردها الإيجار في اللفظ وغزارة وطلاقة في المعنى، هذا ما دفع الباحثون إلى تحديد المسار الذي يمكن من خلاله الغوص في جوانب المعرفة الإنسانية وإدراك أسرارها والاستفادة منها على الرغم من وعر المسالك وصعوبتها.

إن هذا الحقل الواسع، حقل المثل الشعبي وفروعه اللامتناهية أكد فعلا وجوده وقدرته على الاستمرارية والبقاء رغم رسوخه في القدم ورغم تعاقب الأزمنة عليه والواقع اليوم يلح أكثر على جمع هذا التراث واستحداث المناهج التي يقتضيها الموضوع لبلوغ الهدف المنشود.

بل إن أول ما يواجهه الباحث والدارس للأمثال هو مدى اختلاف الباحثين في تعريفاتهم لها، وتعدد آرائهم في ضبط مصطلحها شأنها شأن جل العلوم الإنسانية التي تمثل التعريفات الدقيقة نوعا من الإشكالات ويصعب فيه الإجماع تارة، ويتعذر الاتفاق تارة أخرى.

وما يمكن رده لهذا الاختلاف هو تعدد مفاهيم المثل فإلى جانب معناه اللغوي نجد المعنى الاصطلاحي، أضف إلى ذلك دورانه بين العامي والشعبي والفصيح، كما أن ثمة عدة خصائص ملازمة له كالإيجار فيما أشار إليه "ابن رشيف" قائلا:"**المثل السائر في كلام العرب كثير نظما، وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه**"[1]

إن أهمية المثل عند "ابن رشيف" تكمن في خصائصه المرفولوجية، وبنيته الشكلية حيث أن طائفة من الأمثال لم تتدرج ضمن وحدات تركيبية تعبيرية ومقاطع السلسلة النظمية الغير المتناهية، يتضح هذا في قالب نثري وأحسن الأمثال أكثرها اختصارا، وأحكمها أصدقها تعبيرا ودلالة على ثقافة وميولات وتجارب الشعوب.

ونظرا لتعدد آراء الباحثين وتشعب مراميهم فيه، تدفعنا لا محالة إلى تتبعها وحصرها بل أمرا يتطلب إسهابا غير يسير.

لهذا وذاك سنكتفي بعرض أهم الومضات من تلك الآراء، والتي يتوسم فيها تقصي أغراض هذا الجانب الذي يعد نقطة انطلاق البحث وإعطائه دافعية منتظمة، ومدى إضاءة الطريق المراد سلوكه فيه. فلنتعرف مباشرة على ضبط المصطلح لغة ثم اصطلاحا.

1- تعريف المثل لغة:

يقال مثل الشيء يمثل مثولا، ومثل: قام منتصبا، ومثل بين يديه مثولا أي انتصب قائما.

---

[1] أنظر: ابن رشيف، العمدة، ص 60، محمد سعيدي المثل الشعبي مجلة الثقافة الشعبية العدد 3 1995، ص55.

مثل كلمة تسوية يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه شبهه بمعنى، قال "ابن بري" **"الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص"**

وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين نقول نحوه، كنحوه وفقهه، كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه فإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يشد مشده وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة والعرب تقول: هو مثيل هذا، وهم أمثالهم، يريدون أن المشبه به حقير كما أن هذا حقير والمثل: الشبه.

والأمثل هو الأفضل: وهو من أمثالهم وذوي أمثالهم يقال: فلان أمثل من فلان أي أفضل منه.

والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبه بخلق من خلق الله وجمعه التمثال وأصله من مثلث الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، ويكون الشيء بالشيء تشبيها به واسم ذلك الممثل تمثال[1].

إن المنبع الأصلي لكلمة: (المثل) ودلالاتها الأساسية في المصادر والمعاجم اللغوية العربية، يقودنا إلى الإفصاح عنه في "مختار الصحاح"، إذ يعني المثل الشبه، يقال هذا مثله ومثله أي شبهه والمثل ما يضرب به من الأمثال، ومثل الشيء أيضا (بفتحتين) صفته[2].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، حرف اللام المجلد الحادي عشر، دار بيروت 1968/311 ص 610إلى 614.

[2] محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب: محمود خاطر مختار الصحاح، طبع دار المعارف بمصر، القاهرة 1973 ص614

كما أن المنجد في اللغة والإعلام قد نص أيضا على أن "المثل" جمع أمثال، أي الشبه والنظير، ويفيد أيضا: القول السائر بين الناس[1].

ذكر أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) عندما أشار إلى أن "علماء اللغة العربية يقولون: إن كلمة المثل مأخوذة من قولك: هذا مثل الشيء ومثله، كما تقول شبهه وشبْهه، لأن الأصل فيه التشبيه ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا....."[2].

2- التعريف الاصطلاحي للمثل:

لقد تواصل اهتمام الباحثين والدارسين لطلق عنان المثل في تعاريف اصطلاحية حديثة، عربية منها وأجنبية، كما اختلفت باختلاف مشارب هؤلاء المهتمين بسير أغوار فنون الأدب الشعبي بخاصة، لحرصهم على كشف اللثام وإزالة كل غموض وإبهام عن أهمية هذا النوع من الدراسات في مدى التقرب أكثر فأكثر من الشخصية القومية للمجتمعات الإنسانية، نظرا لما يؤهلها لتمثيل خصائص الشخصية أحسن تمثيل وأصدق تعبير.

إن مما سبق ذكره، "يظهر جليا مفهوم المثل الشعبي في أذهان الناس، إلا أنه في المقابل يبقى إيجاد تعريف شامل يجمع ما سبق رصده ظل من الصعوبة بمكان لتداخل ألفاظ التعريف وعناصره وانسحابها عن أنواع أخرى من فنون

---

[1] المنجد في اللغة والإعلام، مجموعة مؤلفين، دار المشرق بيروت 1973، ط:21، ص747.

[2] أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1965، ط:10، ص:60.

الأدب، كالقول المأثور اللغز والنكتة وما إلى ذلك من أشكال التعبير المستغرقة في دائرة الأدب الشعبي....."[1].

وبعد هذا يكون الأوان قد حان لضبط مرجعية المنطق المرتبط بالآراء التي طلقت عنان المثل مبرزة مكانته وطبيعته اللتين جعلتا المثل يوحي بشكل مباشر اقترانه بصفة الشعبية بكيفية حتمية بلا منازع.

وفي هذا المضمار نجد أن العديد من العلماء العرب والأجانب قد أدلوا بآرائهم في إبراز والوقوف على حد ضبط تعريفه.

فمن بين الباحثين المحدثين العرب الذين اهتموا بتعريف المثل ما ذهب إليه أحمد أمين: "الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا يكاد تخلو منه أمة من الأمم"[2].

أما أحمد رشدي صالح فيرى "أن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الرائع بالرواية الشفاهية المبين لقواعد الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي، ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التراكيب، بحيث يمكن أن يطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية"[3].

أما "القاسم بن سلام" فعرف المثل على ضوء تأليفه لكتاب الأمثال قائلا: "هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض

---

[1] أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص: 335.

[2] أحمد سيد محمد، البحث عن الشخصية من حلال الأمثال العامية مجلة الثقافة، العدد: 65، الصادرة بالجزائر في أكتوبر سنة 1981، ص:60 عن أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ج1، ص:61.

[3] المرجع نفسه، ص60.

كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية من غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه"[1].

و"لإبراهيم النظام" رأي في هذا الحقل فهو يقر بأنه: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة"[2].

ونجد "ابن عبد ربه" في كتابه "العقد الفريد" يصف الأمثال قائلا:" هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني وهي التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ولم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها حتى قيل: أيسر من مثل"[3].

أضف إلى ما سبق ذكره من آراء العلماء العرب قول "الفارابي" في كتابه "ديوان الأدب" حسبما يروي عنه السيوطي في المزهر: "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية وتقربوا به من الكرب والمكربة وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقتصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"[4].

هذا بالنسبة لعلماء العرب، أما عن الأجانب فيحضرنا تعريف الباحث الأنجلوساكسوني (أرشرتايلور) فيعرفه بأنه "جملة مصقولة محكمة البناء، تشيع في

---

[1] السيوطي: المزهر في علوم اللغة، الجزء الأول، دار حياء الكتب العربية الطبعة الثالثة، القاهرة 1958 ص 486ز

[2] الميداني: مجمع الأمثال، دار مكتبة الحياة، بيروت ص 1961 الجزء الأول: مقدمة الكتاب.

[3] ابن عبد ربه: العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط2 ج3 ص 63.

[4] السيوطي: المزهر في علوم اللغة، الجزء الأول، ص 486.

مأثورات الناس باعتبارها قولا حكيما، وأنه يشير عادة إلى وجهة الحدث، أو يلقي حكما على موقف ما، وهو أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية"[1].

كما يرى (الكزاندر هجرتي كراب): أن "المثل يعبر في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة، صيغت في أسلوب مختصر سهل، حتى يتداوله جمهور واسع من الناس، فهو يعبر عن حقيقة عامة أو صدق عام؟ والخاصيتان الأساسيتان في المثل هما الطابع التعليمي من حيث الموضوع، والاختصار والتركيز من حيث الأسلوب.

وهذا التركيز تزيده عوامل مساعدة كالجناس اللفظي والتقفية، ولقد تكون هذه العوامل المساعدة ذات فائدة، لكنها ليست أمرا لازما لا غنى عنه"[2].

أما "سوكولوف" فيعرفه بأنه "جملة قصيرة صورها شائعة تجري سهلة في لغة كل يوم أسلوبها مجازي وشود مقاطعها الموسيقى اللفظية"[3].

وفي مفهوم الباحث الألماني "فريد ريك زايلر" فيرى أن المثل هو "عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل ويغلب عليها الطابع التعليمي، وتبدو في شكل فني اكثر من أسلوب الحديث العادي"[4].

وفي الأخير لابد من الإشارة إلى الاختلاف الموجود في عبارة المصطلح نفسه، حيث أن هناك من يسميها الأمثال العامية وهناك من يطلق عليها اسم الأمثال الشعبية.

---

[1] أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، ص336.

[2] ألكزاندر هجرتي كراب، علم الفلكلور، ترجمة رشيدي صالح. مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967 ص: 235.

[3] رشدي صالح: فنون الأدب الشعبي، دار المعارف القاهرة، 1954 ص336.

[4] أحمد أبو زيد وآخرون، دراسات في الفلكلور، دار الثقافة، القاهرة 72، ص311.

فإذا كانت صفة العامية ترتبط بنوع من الأمثال فلكونها متداولة باللهجات العامية وكونها رائجة بين عامة الناس، فإن صفة الشعبية بقيت مقاييسها متأرجحة بين موازين الباحثين ولم تستقر معاييرها على حال، ومنه نفصح القول أن معيار الشعبية لا تقتصر على الأثر الفني المكتوب بالعامية، بل إن الأدب الفصيح قد يكتسي هو الآخر طابع الشعبية كونه يعبر عن آلام الشعب وأماله بلا منازع.

وما يمكن حوصلته من التعاريف السابقة أنها تكاد تتفق على أن المثل الشعبي هو خطاب لغوي أدبي قصير، أساسه الإيجاز اللفظي والدقة التعبيرية يقوم على العلاقة التشبيهية بين موضوعين، موقفين أو حادثين فالطابع الاجتماعي يبقى الخاصية الأساسية التي يتميز بها المثل.

الفصل الأول

مفاهيم العنف ودلالاتها في المثل.

الفصل الأول: مفاهيم العنف ودلالاتها في المثل:

أولا: مفاهيم العنف

إن ظاهرة العنف كانت ومازالت تعد من أهم المواضيع في حياتنا، وأنها من القضايا العويصة التي تميز حياة الإنسان وتطبعها فهو الأمر الذي يعانيه الفرد وكذا الجماعة، والحل الأنجح لمشاكله وهمومه اليومية في حالة إخفاق الحلول السلمية في هذا. فوسائل الإعلام (السمعية البصرية والمكتوبة) تكاد تنطوي أقاويلها تجاه الظاهرة، فهي محل نظر الخاص والعام بل علاوة على هذا حديث الساعة، فنحن لا نقرأ ولا نسمع إلا عن العنف والنتائج الوخيمة المترتبة منه، فلننظر كيف أن العلماء توصلوا إلى مرد العنف إلى ظاهرة غريزية في طبيعة الإنسان، وجدت مع وجوده على سطح الأرض، فهي الصديق والعدو الذي لازم ومازال يلازم الإنسان إذ نجد قصة "قابيل وهابيل" في القرآن الكريم شاهدة حق على أول جريمة يقترفها الإنسان في حق أخيه الإنسان.

"واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بالحَقِّ إذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ولَمْ يُتَقَبَّلْ مِن الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ، لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَّ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ، إِنِّيَ أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ إِنِيَّ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ، وذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِن الخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ

لِيُرِيَه كَيفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيه، قَالَ يَاوَيلَتَي أَعَجِزْتُ أَنَ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوأَةَ أَخِي فأصبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ"[1].

تلكم هي حقيقة النفس الخسيسة التي صاحبت هذا الإنسان منذ القديم فكان اهتمامه متواصلا في البحث عن أنواع الأسلحة الفتاكة لقهر الطبيعة في بداية الأمر ثم غدا استعمال العنف أمرا مقبولا كوسيلة ضرورية لبلوغ تلك الغاية، لكن سرعان ما وجهه ضد ابن جلدته، فطارده وغزاه وألحق به أضرارا جسيمة، أليست كافية هذه الأسباب ومباشرة دعت أغلبية الناس إلى العمل الجاد للحد من هذه الظاهرة والتحدي ومدى التصدي لها بتوفير وإحضار كل المعايير والوسائل أما دورنا كباحثين للتصدي لظاهرة العنف يقف عند الدراسة المتواضعة فنتطرق إلى مفهومها اللغوي ولاصطلاحي ولنتعرف معا على مظاهرها وأشكالها ومباشرة فنكتب:

I- مفهوم العنف:

أ- العنف لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور الإفريقي المصري في باب "عنف": "العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، عنف به وعليه يعنف عنفا وعنفا وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره واعتنف الأمر أخذه بعنف"[2] أما التعريف المعاصر لظاهرة العنف، فنجده ينحصر في كونه" ردة فعل

[1] سورة المائدة، الآيات من27 إلى 31.

[2] لسان العرب، المجلد التاسع، ص257، باب "عنف".

شخص على شخص آخر لإزعامه على الرضوخ لأوامره ورغباته باستعمال القوة أو هو التهيؤ الطبيعي للتعبير عن الأحاسيس بطريقة خشنة وعدوانية"[1].

وكلمة "عنف" "مشتقة من اللاتينية "Violentia" التي تعني "Violence" بالفرنسية، أو الصفة الشرسة التي تجعل القوة مطية للوصول إلى هدف معين، وانتقالا من المعنى اللاتيني إلى الإغريقي نجد الشاعر "هوميروس" يربطه بالعضلات والقوة الحيوية (bia). أما المختصين، فيربطون هذا المصطلح بالسنكريتية (لغة البراهمة) (j(i)ya) التي يعني عندها السيطرة والقوة"[2].

ب- العنف اصطلاحا:

1- العنف من وجهة نفسية:

إن مادة علم النفس يختلف تصورها ووصفها باختلاف نظريات أصحابها واتجاهات مدارسهم، فالمشكلات التي يعالجها علماء النفس وفق النشاطات العلمية التي يزاولونها ذات قدر كبير من الوحدة، وفي المقابل أيضا تتناول الحقائق التجريبية وعلاقاتها من جهة، بحيث تتناول التفسير الفلسفي لتلك الحقائق من جهة مقابلة.

إن علم النفس (Psychologie) حاليا وعمليا يركز كلية على الجانب التطبيقي التجريبي، ومع هذا كله مازالت العلاقات قائمة، بين النظام الفلسفي العام وعلم النفس الخاص وكنتيجة تخلص إليها العلاقة "فلسفة علم النفس" أو ما يعرف بالعلم السيكولوجي.

---

[1] يراجع: Yves Michaud, la violence, 2ème ed, presses universitaire de France, 1988, p 3.

[2] المرجع نفسه، ص4.

وإذا ما حاولنا مقارنة علم النفس بالعلوم الأخرى نجد بلا شك أن ثمة نقطة اتفاق تكمن في أن علم النفس علم تجريبي يبحث في النشاطات العقلية والسلوك الموضوعي، من أفعال وعمليات عقلية مرتبطة بالكائن الإنساني، كما يدرس سلوكه وخبراته التي تتنابه خلال تفاعله مع بيئته.

وفي المقابل أيضا يتضمن خبرة الفرد الذاتية أو النشاطات الباطنية التي لا يمكن أن يقف على وصفها وإدراكها سوى الشخص نفسه ويتعذر بل من العجزان يقف عليها الآخرون، كالشعور باللذة والألم أو التفكير والتخيل.

أضف إلى ذلك أن علم النفس يختص بالظواهر السيكولوجية لشخص ما، فدراسة سيكولوجية العامل مثلا، تعني دراسة مشاعره، اتجاهاته ودوافعه وكذا تصوراته...إلخ، كونه كائن حي يتفاعل داخل مجتمعه يتأثر به ويؤثر فيه.

"فالانفعال" "Emotion" وهو حالة وجدانية جسمية تحدث للكائن الحي وتشمل تغيرات تطرأ على الجسم لتنتشر في التنفس والنبض، والإفراز الغدى والجهاز العضلي... مصحوبة بإثارات وجدانية لتندفع بقوة نحو سلوك ما يخلص إليه الإنسان.

وثمة العاطفة (Sentiment) وهي بدورها تغير يعتري السلوك كله، هي نظام مركب من عدة ميول وجدانية مركزة حول شيء ما، تكيف الشخص لاتخاذ اتجاه معين في شعوره وتأملاته وسلوكاته الخارجية[1].

[1] حلمي المليجي: علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ص،ب849. الطبعة الثانية 1972، ص27.

ما يمكن الإقرار به، ورصده من قراءة أولية للعنوان يتبادر مباشرة في الذهن أن ثمة دوافع تجتمع، بل تتكاثر داخل وجدان الإنسان.

فانظر التوتر والقلق الذي يؤدي بالشخص مباشرة إلى فقدان التوازن فتنجم أفعال خلاصتها الخطأ وأكثر منها الخطيئة.

ومما لا شك فيه أن التفاعل القائم بين الإنسان ومجتمعه الذي يعيش فيه، مرتبط بحاجاته البيولوجية والنفسية، وبحثه الدائم وفق طرق يحاول بها إشباع تلك الحاجات، فخلال نمو الفرد مثلا تؤدي، خبرات التعلم المبكرة إلى ظهور حاجات إضافية شخصية واجتماعية وإشباعها ضروري عند الإنسان بلا منازع لحفظ ما يعرف "بالتوازن النفسي" ومن أمثلة الحاجات نذكر: حاجته إلى الأمن، والرضا الاجتماعي. والحاجة أيضا إلى تأكيد الذات والحاجة إلى التحصيل وغيرها، هذه الحاجات النفسية والاجتماعية أكثر تعقيدا من الحاجات البيولوجية و قد تعمل شعوريا أو لا شعوريا[1].

[1] حلمي المليجي: علم النفس المعاصر ص 97.

وما يفهم من السياق مدى توافق الإنسان مع البيئة التي تبقى ثاني أمر أساسي تكون شخصيته، لأنها تؤثر فيه، لتفادي الاحباطات والصراعات شريطة توفر العقل لأنه سبيل الإنسان لهذا التوافق.

فهل ينجح الإنسان دوما لإشباع حاجاته، أم ثمة عوائق تحيل دون بلوغه هدفه المنشود؟

من غير المعقول أن يحقق الإنسان النجاح يوميا أو شهريا أو سنويا، دون توتر أو حالة قلق تنتابه في حياته اليومية،. فلنفرض أن هذا الإنسان يعمل دون أن يتقاضى الأجرة مقابل هذا الجهد، فكيف تفسر حالة هذا الشخص؟ ضف إلى ذلك عدم سد حاجيات العائلة من ملبس ومأكل وحالات المرض التي تحل فجائية غالبا، فهل يشعر هذا الإنسان "بالتوازن النفسي" بالرغم من كونه عاقلا يفكر ويحس، يؤثر ويتأثر؟

فأنظر كيف أن الحاجات التي لم تشبع تخلق توترا يدفع الكائن الحي إلى المبادرة بالعمل على إشباعها مما ينجم عنه خفض التوتر، ولذلك قد يتعب في عدم تحقيقها وتأقلمه إزائها فهنا يتوقف ليرتكب الخطأ، لعدم تفريقه بين السرعة والتسرع وهذا الأخير منطلق العنف.

وما يضيفه "جون جاك روسو" إلا خير دعم، ليشارك رأيه وقوله ما سبق ذكره من منظور الفلاسفة في هذا الاعتبار فهو إذن من وضع منهجه الأخلاقي في التربية في كتابيه الشهيرين: (العقد الاجتماعي) و(اميل) فبعد دراسة مستفيضة لآراء روسو. يبدوا أنه يذهب إلى أن العقل أناني بالطبع لأنه يحب ويرجع كل

شيء للأنا فهو أصل الشقاء وأن العاطفة في نظره هي المرشد الأمين الكافي لتحقيق السعادة[1].

يقول الفيلسوف في هذا الشأن:

"كل ما أحسه شرا، والضمير خير الفقهاء، وإنه الغريزة الإلهية والصوت الخالد السماوي والدليل المحقق لموجود جاهل محدود"[2].

علاوة على ذلك ما حققه التحليل النفسي من نتائج خير دليل للإقناع، فهذه المدرسة جعلت الاضطرابات النفسية العصابية الأداة التي توصل بها "فرويد" إلى اكتشافاته، فإنه من المفيد التذكير بتلك التصورات للطب العقلي الكلاسيكي، كما يظهر لنا من كتابات "جاسبير" (Jaspers).

وكذا "كريشمر" "Krechmer" و"بندر" "Bindre"، وحسبه أن الاضطرابات العصابية هي نتيجة النمو الشخصية، حيث لا يعتبر العامل المرضي " Facteur pathogène" الحاسم هو البنية الهشة للمريض، ولكن تلك الحوادث التاريخية للوسط الذي ينمو فيه المريض ذات البنية الهشة[3].

التحديد البنيوي للشكل الخاص الذي يوجد ضمنيا ورصده في هذه الفقرة:

"ليس هناك من سبب يجعلنا ننكر وجود وأهمية الاختلافات الأصلية والوراثية "للأنا"، فالأمر حاسم لكل شخص يختار من بين الميكانيزمات الدفاعية الممكنة، يستعمل البعض منها بصفة دائمة، وهذا يعني أن "الأنا" الخاص مزود منذ

---

[1] د: موسى الموسري: فلاسفة أوربيون، من ديكارت إلى برجسون، دار المسيرة، ط1. 1980، ص107.

[2] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[3] وبنفريد هوبر: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية: ترجمة: د: مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1995 ص 161 إلى 165.

الممكنة، يستعمل البعض منها بصفة دائمة، وهذا يعني أن "الأنا" الخاص مزود منذ البداية باستعدادات وميول فردية لا يمكن لنا أن ندرك طبيعتها وشروطها.... ولكننا لا نريد أن ننسى أن "الهو" و"الأنا" هما من حيث الأصل واحد، وهذا ليس تقديرا مفرطا وخرافيا للوراثة إذا اعتبرنا أنه بالنسبة "للأنا" الذي لم يوجد بعد، قد تحددت توجهات النمو والميول والاستجابات التي ستظهر فيما بعد.

كما يرى "آلبورت" 1937 "Allport" أن الشخصية هي ذلك التنظيم الديناميكي للأنساق النفسجسمية في الفرد التي تحدد تكيفاته الخاصة مع محيطه[1].

وأراني أسارع فأضيف ما هو جدير بالإعتبار.

إن رغباتنا لا تبقى على حال ثابتة من المهد إلى اللحد، لأنها حتما تتغير، وفي تغيرها هذا فإن ما نشتهيه حولنا من أشياء تتغير أيضا.

وفي هذا المضمار، يقول أحد علماء الأخلاق:

"إن من المستحيل أن نعد قوائم لرغبات الخير والشر وللأشياء الخيرة والشريرة لأن الخير والشر صفتان تتسم بهما العلاقات بين الشهوات والمشتهيات المتنوعة كذلك"[2].

ولا غرابة إن حضر رأي أحد الفلاسفة "سقراط" الذي يرى: "أن طبيعة الإنسان قد فطرت على الخير، ولا تصير إلى الشر إلا بعوامل طارئة على فطرته، خارجة عن حقيقته، كمعاشرة الأشرار، أو التأثر بنوع من التربية أو البيئة

---

[1] وينفرد هوبر: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية ص 16.

[2] لبمان ولتر: مدخل إلى علم الأخلاق، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، 1967، ص172.

أو الوراثة، أو غير ذلك مما يدفعه للوقوع تحت ريقة الشهوات وسلطان النزوات"[1].

إذا كان رأي سقراط واقعي في نظره، فهناك من رد، وجسد قوله بالدليل، لكن لتبقى الآراء محترمة لأنها كم تعكس واقعنا المعيش مع شدة النظر وحدته.

يقول "جالينوس" الطبيب المعروف الذي عاش في القرن الثاني للميلاد.

"إن كان كل الناس أخيارا بالطبع، وانتقلوا إلى الشر بالتعليم، فمن علمهم؟ فإن كان غيرهم علمهم فهو شرير بطبعه، وإذن ليس كل الناس أخيارا بالطبع. وإن كانوا تعلموا الشر من أنفسهم، فإن كان فيهم ميل إليه فقط فهم أشرار بالطبع، وإن كان فيهم مع هذا الميل ميل آخر إلى الخير إلا أن الأول غالب يكونوا أيضا أشرارا بالطبع"[2].

- **العنف النفسي:**

له علاقة بالإنسان بغير منازع، هذا الأخير الذي يعجز عن دفع شر الآخرين تجاهه، فيرتد على نفسه يسومها العناء والتفوقع أملا في إثارة الغير وإيقاظ الضمائر أو هو "نتاج مأزق علائقي بين الأنا والآخر ويتمظهر على الصعيد النفسي بشكل خفي، حينا، مقنعا بلباس السكون والاستكانة الخادعة، وحينا آخر بشكل صريح ومذهل في شدته واجتياحه لكل القيود والحدود. إلا أن بين

[1] د: محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، دار الكتاب اللبناني، الطبعة (4)، 1973، ص226.

[2] المرجع نفسه: د: محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص- ص 226-227.

الحينين هناك العديد من الاحتمالات التي نتفاوت شدة ووضوحا فهي قد تأخذ طابعا رمزيا على شكل سلوك مرفوض أو قد تتخذ التوتر الوجودي"[1].

ومما سبق ذكره يكون لا محالة نتيجة التوترات المعنوية، أو الفراغ أو الوهم الذي ينتاب نفسية الفرد، إذ تتجمع وتتراكم هذه الأسباب كلها في ذاته وتتضج لتندفع وتنفجر، وقد تكون ثمة وسائل اتصال سببا مباشرا في تغذية هذا النوع من العنف وإثارته، كل هذا ينطوي في ما تسنى تسميته عند علماء النفس بالعنف المتوتر أو العنف الانفعالي العاطفي، وقد ينجر عنه انفجار عاطفي يعبر عن التوترات والمشاعر المتراكمة وهو عنف وإن كانت له أهدافه الموضوعية إلا أنها لم تتجسد بعد بحيث يمكن أن تصبح أساسا لفعل عقلاني وقد يتوقف العنف الانفعالي أو العاطفي بعد الانفجار لبعض التوترات، إلا أنه عادة، بل مما لاشك فيه إذا استمرت أسبابه وتكرر حدوثه قد ينذر بالتحول إلى نمط العنف العقلاني.

- **العنف العقلاني الرشيد:**

إن هذا النوع من العنف نظامي معياري دقيق محدود رشيد، لأن من أجمعوا عليه يتميزون عادة بثقافة عالية ومكانة لا يستهان بها وتفكير نير وبوعي وفي كامل قواهم الجسدية والعقلية، فقد يكون لانخفاض مردودية التعليم أو انتشار الشبح المخيف ألا وهو البطالة أو المحاباة أو ما تعرف بالمحسوبية في شغل الوظائف أو بالأحر قد يهدف إلى الضغط على السلطة لتحقيق الرغبات الواجب رصدها وتحقيقها فإذا كانت هذه الأخيرة قد حصلت زال العنف وعاد السلم والأمن لا ريب.

[1] إدورد ج موراي: الدافعية والإنفعال، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، القاهرة دار الشروق، الطبعة الأولى، 1408-1988 ص،137.

وإذا أخذنا بالوجهة النفسية والسوسيولوجية للعنف فإننا نجدهما يرجعان هذه الظاهرة إلى الصراع الذي ينشب بين مكونات الشخصية (من دوافع مختزنة مستترة مدفونة في صندوق اللاشعور) والعالم الخارجي والارتباطات الإنسانية التي تسير المجتمع إلى الأمام تماشيا ومقتضياته.

إن هذا المجتمع والذي تكونه مجموعة من الأسر متكونة هي بدورها من مجموعة أفراد تجمعهم قرابة الدين والعادات والتقاليد وتفرقهم مجموعة السلوكات المتغيرة بتغير متطلبات الوقت أو ما يعرف بنكبات الدهر.

فنجد في المقابل تحديد المصطلح عند العلماء النفسانيون يصب في إندفاع المرء إلى التشبث بالقوة للغلبة والتغلب على موقف بالاندفاع لغرض الدفاع بالقوة أو العنف. أن يقاتل، أن ينتقم لإصابة أو ضرر، أو يهاجم، يصيب أو يقتل شخصا آخر أن يقاوم شخصا آخر بعنف أو أن يعاقبه"[1]. وهذا المفهوم بكلماته المرسومة بشكل واضح لا إبهام ولا غموض- كما نرى- في كون أن كلمة العنف تبقى ضغط على الحرية الإنسانية نجده مجسدا عند بعضهم فأنظر مثلا.ر.رموند R. Remund الذي يوسع مفهومه ويزيده وضوحا وجلاء بقوله: "تسمي عنفا كل مبادرة تحول الإساءة إلى حرية الغير، وتحاول الأذى بحرية التفكير والمعتقد والقرار، وخصوصا عندما نحاول استعمال الآخر كوسيلة في مشروع يستنفذه ويستوعبه من دون أي اعتبار لكونه حرا مساويا"[2].

---

[1] إدواردج موراي، ص190

[2] R : Remund, violence et société, collectif, les éditions ouvrières paris, 1969, p70

فإذا كان الطفل لا يعي ولا يدرك ما يفعل من تصرفات، أليس هذا مرتبط بعاملين أساسيين ألا وهما البيئة والوراثة[1].

فالوراثة هي انتقال بعض خصائص الأصل إلى الفرع، قل ذلك أو كثر وليس من المحتم، مادام الابن جاء نتيجة لالتقاء جراثيم الأم والأب أن تنتقل كل صفاتها أو بعضها إليه بصفة فعلية، وإنما قد يكون ذلك وقد تكمن وتختفي في عدة فروع أو طبقات، فتظهر كلها أو بعضها عندما تحين لها الفرصة، في بعض أفراد نسله القريب أو البعيد.

للوراثة عامل في نقل الصفات الحسية التي تولد الصفات الأدبية كالأمزجة، والميول والغرائز والصفات العقلية، كالذكاء والبلادة، وحسن التقدير للأمور أو سويه وشدة الانتباه أو ضعفه.

أما البيئة فلها دور مقابل للوراثة، سواء كان ذلك بيئة طبيعية كالإقليم وما يتميز من مناخ، وسهول وجبال وتضاريس إلى غير ذلك، أو بيئة اجتماعية، كأحشاء الأم والمنزل، والمدرسة، والأصدقاء والأندية ونظام الحكم، والتقاليد والعادات التي تسود المجتمع والصحف والمجلات، أي يكيف الكائن الحي نفسه حسبما يحيط به ليعيش.

فإذا كان الطفل لا يعي ولا يدرك ما يفعل من تصرفات، أليس هذا بوادر ميلاد مولود يضرب، يشتم، يبتز، لكنه يخفي وراء ذلك طفلا هشا، طفلا مشكلة؟

[1] د.محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص 240.

ما وصل إليه إجماع العلماء النفسانيون وهم يتتبعون دراسة حالات ومراحل نمو الأطفال أن ثمة قدرا من النزعة العدوانية، لكن يبقى أقلهم عددا، سويين، متزنين.

يمتاز الطفل العدواني بلا شك من رغبة واضحة في إيذاء الآخرين فالطفل العدواني يدرك أنه يلحق الأذى والضرر بالآخرين، ليس كلهو ولا استلاء على يمتلكه طفل آخر، أو للدفاع عن نفسه، بقدر ما يمارس العمل العدواني حبا في إيذاء الآخرين، وهذا يحدث في أي عمر دون تحديد وضبط السن.

فالطفل الذي يمارس أفعالا عدوانية، يجد متعة وتعزيزا لإحساسهم بالثقة وتحقيق الذات.

فالطفل العدواني طفل كبير الحجم وقوي البنية يثير وجوده الرعب في قلوب الأطفال الآخرين ولكن من الواضح أنه ليس كل طفل كبير الحجم وقوي البنية طفلا عدوانيا.

وقد يلجأ العدوانيون إلى أساليب أخرى من السلوك غير المقبول اجتماعيا فهم يسرقون ممتلكات المدرسة أو يتلفونها ويتشاجرون مع المعلمين والإداريين، وهم يشجعون الأطفال الآخرين على اكتساب موقف سلبي من المدرسة. وهم السبب الرئيسي في دفع الأطفال الآخرين إلى التغيب عن المدرسة.

وقد يصاب العدوانيون والضحايا أيضا بمشكلات نفسية خطيرة فهم قد يصابون بالإكتئاب المرضي لشعورهم بالذنب، وعندما يبلغون سن المراهقة تجدهم قد انعزلوا عن المجتمع، ولذلك فإنهم إذا لم يتلقنوا ما يكفي من المساعدة الطبية والنفسية والاجتماعية قد ينقلبون أكثرهم إلى لصوص ومجرمين محترفين وما أكثر

هذا الصنف في مجتمعنا، والواقع المعيش والملحوظ يبقى خير شاهد ودليل على صحة ما نبحث ونكتب ونفصح في هذا المضمار الذي يجسد فكرة العنف ويجعلها تكبر وتنمو في أوساطنا.

ويجب الأخذ من بين هذه العوامل كل التجارب التي أدت إلى العصاب الطفلي، بل في المقابل يرى أحدهم "أنه ليس كل عصاب طفلي يؤدي حتما إلى عصاب في سن الرشد، ولكن كل عصاب في سن الرشد يفترض وجود عصاب عقلي"[1].

وإذا كان هذا حديث المصطلح تماشيا وواقع النفس الأمارة بالسوء والمساوئ، فلننظر كيف أن ثمة عوامل أخرى ولدت ما يعرف بالضغط والتعصب ولدا بدورهما ما يعرف بالقهر، وحتى الموت في أكثر الأوقات فكان جدل قام وما يزال قائما بين الرفق والسوء بين السلم والعنف، بين قوة الخير والشر، لكن لنا أن نوضح فكرة هذه التفاعلات سببها ومنبعها واقعها، نتائجها، إنه عامل طبيعي قد لا يحسب له كل الحساب لكن؟!...

علاقة السلوك العدواني بارتفاع درجة الحرارة:

إن الحقيقة التي لا مناص فيها هي أن هناك جدالا علميا قام حول أثر ارتفاع درجة الحرارة في أصقاع العالم على أمزجة البشر، وما يؤثر عليها ليؤثر في سلوكاتهم الاجتماعية وتوارثاتهم الانفعالية.

ويظهر أن حجم ارتفاع درجة حرارة الأرض وزيادة تسخينها كان موضوع المؤتمر الذي انعقد في مدينة "كويوتو" في اليابان في ديسمبر 1997 وما يترتب

[1] وينفرد هوبر :مدخل إلى سيكولوجية الشخصية ص165.

عن هذا الارتفاع في درجة الحرارة من نتائج سلبية بيئية من ارتفاع منسوب المياه في البحار والمحيطات، والتصحر المتسع، وتخرب الزراعة وصيد الأسماك. أما على مستوى الإنسان فما هي المشكلات المحتملة الاجتماعية والنفسية؟ سؤال على غاية في الأهمية والخطورة[1].

إن في رأي علماء النفس والاجتماع أن النتيجة السلبية لهذا الارتفاع الحراري للأرض الذي حتى الآن لم ينظر إليه بجدية، هي التغيرات المتوقعة في نسب جرائم العنف في المدن بخاصة.

ولا غرابة إذا ما قلنا بصحيح العبارة أن الأبحاث أظهرت خلال السنوات العشر المنصرمة أن درجات الحرارة المرتفعة المزعجة التي باتت ظاهرة بيئية ثابتة تقريبا في كل بلدان العالم لها علاقة مباشرة بتزايد السلوك العدواني والعنف ومن مضامينها جريمة العنف في المدن الصناعية بخاصة.

وما يثبت صحة ما ذكر آنفا وأفاد مثال حي يعطيه العلماء على ذلك من واقع إحصائي بحثي، فالتحسن الذي طرأ على معدل جرائم العنف في الولايات المتحدة الأمريكية "أي انخفاض في المعدل" في الحقبة الزمنية الأخيرة قد تم امتصاصه نتيجة تزايد ارتفاع درجة الحرارة في هذا البلد في فصول الصيف بخاصة.

[1] مجلة العربي العدد: 389، نشرت مقال بقلم الدكتور: محمد الحجار. الصادرة بتاريخ: ربيع الآخر 1420هـ، أغسطس آب 1999 ص 32.

ويرى الدكتور(Craiy Anderson) من جامعة ميسوري والدكتور " Brad Bushman" من جامعة "Towa" أن معظم جرائم العنف ناجمة عن الأفكار العدوانية ومشاعر الغضب[1].

فثمة إذن أناس كثيرون بفعل ضيقهم وتوتر أعصابهم من درجة الحرارة المرتفعة يخرجون عن طورهم لأقل محرض وتفاعل سلبي بينهم ليتشاجرون وأحيانا يؤدي العراك إلى ارتكاب جريمة القتل والأمثلة من واقعنا المعاش تعد ولا تحصى.

إن جهود علماء الاجتماع والنفس من خلال تجارب مخبرية أبدت لهم أن مجرد وجود الناس في غرفة مرتفعة الحرارة تجعلهم يشعرون بشعور أكثر إثارة وغضبا مما لو كانوا في غرفة مريحة معتدلة، وهذا ما يجسده واقعنا الحاضر، فلننظر نظرة تأمل وبعقل، محكم بين تواجدنا في حيز ضيق منهمكين بعمل ما، وتواجدنا في المقابل على شاطئ البحر، فالفرق الطبيعي يكاد ينطق ليعبر عن صحة هذا التساؤل لتجلى الحقيقة أمام الأعين.

فالأفكار العدائية إذن تتزايد تبعا لذلك، ومن المعلوم أن الأفكار هي التي تحدد نوعية الانفعالات والسلوك.

فهل تساءل الفرد مع وجدانه حائرا، أليس الطقس الحار عندما يتزامن مع التحريض والإثارة العصبية يزيد من نزوع الفرد إلى إيذاء الآخرين؟

[1] مجلة العربي العدد389، مقال بقلم الدكتور: محمد الحجار موضوعه: علاقة ارتفاع درجة الحرارة وتزايد السلوك العدواني عند البشر ص32.

فكم برهنت جهود العلماء والمتخصصين في هذا الحقل وجود علاقة ترابط بين ارتفاع الحرارة ومزاج العنف بحيث أن الفروق الإقليمية في جرائم العنف مرتبطة ارتباطا إيجابيا بالفروق الإقليمية في معدلات ارتفاع درجة الحرارة ففي كثير من الدراسات بعضها مستند إلى سجلات وإحصاءات لبلدان أوربية تم تجميعها خلال القرن الأخير أظهر أن المناطق الأعلى حرارة في البلد تكون معدلات جرائم العنف فيها أكثر ارتفاعا وتزايدا.

واللافت للاهتمام من ناحية أخرى أن الجرائم العادية لا ترتبط بالعنف على الإطلاق لا تظهر الزيادة نفسها الملحوظة في السلوك الجرمي في البلد نفسه[1].

2- العنف من وجهة سوسيولوجية :

إن الموت هو أكبر كلمة تفزع الإنسان وتؤدي به إلى بذل الجهد لتحقيق التجاوز غير الخلق والإبداع ومحاولة الإجابة على السؤال الهام لماذا يقرر بعضنا ذات لحظة أن يضع حدا لحياته، وما تراه يدور في رأسه ساعتها؟

مما لاشك فيه أن ثمة دوافع عدة تجتمع في داخل كيان الإنسان التي تجعله دوما في حالة قلق وتسرع، لينتهي هذا بالخروج عن المعقول إلى عالم فقدان التوازن النفسي مع المجتمع ليضع حدا لحياته بكيفيات مختلفة، إما شنقا أو من أعالي الجسور، أو أعالي الشرفات أو تسمما.... فهل مرد هذه العمليات والأفعال احتجاج يائس على أوضاع لا تطاق، أو تأكيد لذات سحقتها لا مبالات الآخرين؟

[1] مجلة "العربي"، العدد 389 السنة (1420هـ-1999) ص 33.

ومن غير منازع أن العنف في أيسر مراميه الاجتماعية واشدها بروزا يقف تعريفه على أنه "الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي أو البدني ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية"[1].

فعلماء الاجتماع يحددون مفهومه انطلاقا من النبع الذي يرعاه.

فالنظم الاجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات، فما نسميه عنفا في بلد ما قد يفتقد هذه الصفة في بلد آخر، وذلك لتباين الأنظمة والمعايير داخل المجتمعات الإنسانية.

إن قوام العنف كظاهرة لا يهدف إلى التغيير بقدر ما يهدف إلى الإعلان عن ضرورة التعبير حينما يتفشى في غضون المجتمع أنواع الظلم واللاعدالة بين أفراده، بل من وجهة أخرى "يظهر العنف عندما يكون ثمة فقدان للرقابة أو فقدان للوعي لدى أفراد معينين أو في جماعات ناقصة المجتمعية، وهذه الصفة يمكن وصفه بالسلوك اللاعقلاني"[2].

والواقع أن هناك أطروحات متعددة طرحتها النظرية السوسيولوجية كأساس التصنيف سيأتي إدراجها آنفا، وقبل توضيح هذا لابد أن نقف عند قول أحد المحللين والمختصين في علم الاجتماع لنربط الواقع بالتمثيل، فقد جسد الظاهرة بفكر الإنسان ليقول: "لم يلبث الإنسان أن أرتفى سلم الظاهرة بفكر قليلا، فأدرك أن العرف لا يصلح أن يكون مقياسا صحيحا، فكثيرا ما ينحرف الناس به عن سواء

[1] غسان رياح: ظاهرة الإجرام في حرب السنتين، بيروت، دار المسيرة الطبعة الأولى 1979م ص39.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

السبيل ويتعارفون على أمور تختلف كل الاختلاف عن الواقع وعما فيه مصلحتهم ذلك أنهم يرون خيرا، ما هو في حقيقته شر، ويرون شرا ما هو في واقعه خيرا"[1].

ومرده هذا في نظر علماء الأخلاق السلوك إذ يرون أن هذا السلوك يصدر عن محض إرادة الشخص أما إذا صدر من غير إرادة لها أو تفكير فيها حينئذ لا يسمى سلوكا وإنما تكون تصرفا تدفع إليه الغرائز التي يشترك فيها الإنسان والحيوان على السواء.

وإذا كان ما سبق ذكره خير شاهد على تلك العمليات القهرية التي يفرضها الواقع المزري في مجتمعنا وكم هي في نسب مرتفعة وبخطا سريعة، وجب التدخل السلمي لوقف غمارها، وما يفعله الإنسان في قهر نفسه، نجد في المقابل قهر الإنسان وتسلطه وعنفه على أخيه الإنسان في وسط اجتماعي واحد وقد يرتبط هذا بدوافع أو أسباب من جهة، وقد تغيب هذه الدوافع والأسباب نهائيا، ليتهجم الإنسان متسلطا على أخيه فهنا نضع علامة استفهام فنقول بصحيح العبارة: ما الدافع الذي يجعل الناس بعضهم ينتزع ممتلكات ليست بحقوقهم ولا حق لهم بنزعها؟ فهنا تنشب الفتنة المؤدية إلى الاقتتال وما أكثر الأمثلة حين نعدها، لكن تبقى الحلول السلمية تسير بخطا بطيئة لحلها والفصل فيها، فابن خلدون يندد ليقول:"الإنسان مدني بالطبع" ولهذا انطلق في بناء نظريته حيث كتب: "إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم:

"الإنسان مدني بالطبع" أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران"[1].

[1] د. محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص 259.

ثم يشرح بعد هذا الصورة التي يتم بها الاجتماع، وضرورة التعاون بين الناس حسب تخصصاتهم، فينشأ بذلك المجتمع الذي تختلف نشاطات أفراده: الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، فتظهر الحاجة إلى خدمة بعضهم لبعض، وتصبح مع مرور الوقت لكل عضو في المجتمع ممتلكات خاص به، بفضل ما اكتسبه من جهد عمله، وعندها يطمع بعضهم في ممتلكات غيرهم، فيلجأون إلى انتزاعها عنهم، فيصدهم أصحاب الشيء، وهنا بوادر نشوب الفتنة والعنف اللاروحي المؤدي إلى الاقتتال[2].

وما لا يمكن إغفاله هو أن العصبية القبلية تبقى تثير الوقع على ألسنة كل شرائح المجتمع بدون تمييز المثقف من الأمي، أو الغني من الفقير، أو المرأة من الرجل، فكل في عالم العصبية القبلية يسبحون بفكرهم، لكن ألم يتبادر في ذهن أحد هذه الشرائح طرح التساؤل: إلى أي مدى تبقي العصبية قائمة؟ وهل من مخرج قريب كي تزول نهائيا؟ ليعيش الكل في مأمن وسلام بعيدين كل البعد عن العنف والاقتتال ولأتفه الأسباب وأدناها. ويجب هاهنا تعريف مفهوم العصبية لغويا وذكر علاقته بمعنى العنف الذي تعددت معانيه بين القساوة والشدة والقلق والتوتر وعدم التفريق بين السرعة والتسرع، كلها قوة وتسلط وقهر هي أضداد الرفق والحلم والسلم لا ريب.

---

[1] المقدمة: ج1، ص420، انظر أيضا: ابن عمار الصغير، التفكير العلمي عند ابن خلدون ص75.

[2] ينظر: المقدمة: لابن خلدون ج1، ص- ص:422/420، أنظر أيضا عبد الله شريط: نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، ص- ص 30/28.

فكلمة عصبية تدل على التمسك بالأنساب والنعرة في سبيلها وهذا بالطبع يستدعي التحيز والتفاخر وبالتالي الخصومات والمنازعات والاقتتال الذي يؤدي إلى تفرقة الصفوف وتفتيت الجهود.

وفي لسان العرب عرفت العصبية على أساس أنها رابطة دموية وتلاحم للأرحام (عصبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه، والعصبة: الذين يرثون الرجل عن علالة من غير والد ولا ولد.... وكل شيء استدار شيء فقد عصب به... ويقال: عصب القوم بفلان أي: استكفوا حوله....)[1].

أما اصطلاحا فهي عند ابن خلدون لا تقتصر على النسب والرابطة الدموية فقط، بل تتعدى كل ذلك إلى الحلف أو الولاء، لأن النسب أمر وهمي لا حقيقة له، والعصبية قوة طبيعية متطورة ومتحركة غير ساكنة، فهي المولد للصراعات والمنازعات ولا ترضى بصورة واحدة، إذ هي متعددة الوجوه.

وإذا كان ما ورد من مفاهيم فكرة العصبية فقد تأخذ مسارا مقابلا للرابطة الدموية، ففي غالب الأحيان تلجأ القبائل والعشائر إلى التطاحن والقتال لأسباب مرتبطة بالعوامل الاجتماعية، أضف إلى ذلك العوامل الطبيعية وظروفها القاسية أحيانا.

ويحضرنا رأي أحد الفلاسفة الذي ندد قائلا:"...وليتعلم أولادنا أن الديانات المختلفة لم تخلق التعصب بل الذي خلقه هو الطبيعة البشرية التي ينبثق عنها في مواقف معينة ردود أفعال حماسية غضى، فيعمي الغضب العقل، ويحل محل الفهم المنفتح تعصب محكم الإغلاق، وحين نفهم علاقة العقل[2] بالجسد وإن قوة العقل إذا

---

[1] ابن منظور: لسان العرب: مادة (عصب) ص 791.

[2] علي ماضي: فلسفة في التربية والحرية، دار المسيرة الطبعة الأولى (آب) 1979، ص129.

استخدمت في وجهها الصحيح وسارت في ضوء الإلهام والوحي، فكيف نقضي على الغضب وعلى التعصب وعلى الجهل؟[1]

والجدير بالتحديد والضبط هو أن علماء الاجتماع صنفوا العنف وضبطوا له مفهوما خاصا بحسب أهدافه ودواعيه وظروف حدوثه التي جاءت كما يلي:

- **العنف المتوتر**

يكون نتيجة التوترات المعنوية أو الفراغ أو الوهم الذي يعيشه الفرد، إذ تتراكم هذه الأسباب كلها في ذاته وتنضج لتنفجر، وقد تكون وسائل الاتصال سببا مباشرا في تغذية هذا النوع من العنف أو إثارته.

- **العنف الانفعالي أو العاطفي:**

هو نوع من الانفجار العاطفي الذي يعبر عن توترات ومشاعر متراكمة لها أسبابها ودوافعها الكامنة في النفس الإنسانية، وهو عنف وإن كانت له أهدافه الموضوعية إلا أنها لم تتحدد بعد بحيث يمكن أن تصبح أساسا لفعل عقلاني. وقد يتوقف العنف الانفعالي أو العاطفي بعد الانفجار لبعض التوترات إلا أنه عادة ما يقع ثانية في المستقبل، إذ ظلت العوامل المولدة للتوتر كما هي، فإذا ما استمرت أسبابه وتكرر حدوثه، فإنه ينذر بالتحول إلى نمط العقلاني الذي بدوره يهدف إلى الضغط لتحقيق الرغبات المطالب بها، فإذا تحققت زال العنف وعاد الأمن من جديد[2].

---

[1] المرجع نفسه، ص:130.

[2] غسان رياح: ظاهرة الإجرام في حرب السنتين ص19.

وبعد هذه الجولة المتأنية في غضون الوجهتين النفسية والاجتماعية فإننا نجدهما لا محالة يرجعان ظاهرة العنف إلى الصراع الذي ينشب بين مكونات الشخصية (من دوافع مستترة ومدفونة في صندوق اللاشعور) والعالم الخارجي والارتباطات الإنسانية التي تسير المجتمع.

وما أوجب علينا رصده حددته آراء علماء النفس في اندفاع المرء إلى التغلب على موقف بالمقاومة « بالقوة أو العنف. أن يقاتل، أن ينتقم لإصابة أو ضرر، أو يهاجم، يصيب، أو يقهر شخصا آخر، أن يقاوم شخصا آخر بعنف أو أن يعاقبه" [1]. وهذا التحديد يتمثل كما يبدو لنا في كون العنف ضغطا على الحرية الإنسانية يتضح أيضا عند" ر. رموند R. REMUND » الذي يوسع مفهومه ويزيده وضوحا وجلاء بقوله:" نسمي عنفا كل مبادرة تحاول الإساءة إلى حرية الغير، وتحاول الأذى بحرية التفكير، والمعتقد، والقرار، وخصوصا عندما نحاول استعمال الآخر كوسيلة في مشروع يستنفذه ويستوعبه من دون أي اعتبار لكونه شريكا حرا ومساويا".[2]

وما أدركناه وقعا هو أن ظاهرة العنف ترتبط ارتباطا طبيعيا بالمجتمع، بمعنى أنه هناك حياة اجتماعية ولو بأبسط صورها. لا تخلو من العنف الذي يتمثل في عدوان شخص على آخر في عرضه أو ماله أو ممتلكاته.

أضف إلى هذا أن ما توصل إليه علماء الاجتماع تجاه ظاهرة العنف أنه لايعد شيئا مطلقا، أي أنه لايدل على فعل ثابت له أوصافه المحدودة، ليبقى في نظرهم محدد بعوامل منها الزمان والمكان والثقافة، فكم من تصرفات مضت لم

---

[1] -ادوار. ج موارى، الدافعية والانفعال، ص 190.

[2] -R. REMUND, VIOLENCE et Société, Collectif, P.70

تعد من العنف إطلاقا، لكنها اليوم أصبحت مظهرا من مظاهر العنف وشكلا من أشكاله يعاقب مرتكبها، لأن المجتمع هو الحكم الوحيد الذي يبرز قواعد سلوكات أفراده و" يحدد ماهية السلوك العادي وماهية السلوك المنحرف أو الإجرامي وفقا لقيمه ومعاييره".[1]

II- أشكال العنف:

ليس من شك في أن العنف يخفي أشكالا وأوجها متباينة يحصرها علماء النفس في العنف المباشر والعنف غير المباشر.

أ-العنف المباشر:

إن كل سلوك غير سوي يوقع العقاب على الغير وعلى جسد مخلوق آخر يمتلك القدرة على الحركة، فتكون آثاره مرئية وواضحة." ووسيلة لامتلاك الغير والتعبير عن الكبت المدفون في نفسية المعتدي منذ زمن بعيد متجاوزا في أبعاده العنف اللفظي القائم على التهديد والوعيد، فانفعالية المعنف (بكسر النون) تقضي على التفكير المنطقي وتحجب وضوح الرؤية، وتمثل القدرة عنده على تفهم المعنف (بفتح النون)، فينتقل العنف النفسي عنده من السباب والشتائم والتهديد إلى الاشتباك باستعمال العضلات تارة والسلاح تارة أخرى"[2].

وإذا كان ما ورد ذكره مفصلا وجب علينا تقديمه بتخطيط مفصل للعنف حتى يتضح الالتباس، إذن تأت أشكال العنف كما يلي:

---

[1]- سامية حسن الساعتي، الجريمة والمجتمع -بحوث في علم الاجتماع الجنائي. بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية 1983، ص 16 .

[2]- أ. محمد ملياني ثنائية الصراع والعنف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال أطروحة جامعية لنيل شهادة ماجستير. جامعة تلمسان- (1420هـ 2000) - ص- ص 47، 48..

ب- العنف غير المباشر:

حين يتعرض العنف للعنف لا يختفي، و إنما يظل يبحث لنفسه عن مخرج، فقد يتم التعبير عنه بصورة غير مباشرة عن طريق "الإيذاء المستتر أو عن طريق العناد و كذلك قد يستدير العدوان ليتحه نحو الذات (Self agression) (إن عز عليه رد العدوان على مصدره الأصلي أو على بديل له) في صورة كراهية للذات أو انتحار".[1]

و العنف غير المباشر يأتي على نوعين :

1- **العنف النفسي** : الذي يرتبط بالإنسان المقهور الذي يعجز عن دفع شر الآخرين تجاهه، فيرتد على نفسه يسومها العذاب أملا في إثارة مشاعر الغير و إيقاظ الضمائر.

2- **العنف اللفظي** : يكون محصورا في إطار كلامي، فتغدوا فيه لغة التخاطب عنيفة و تأخذ شكل الضغوطات و التهديدات و النقد من غير أن توسم بطابع التنفيذ الحسي المادي، و العنف اللفظي ما هو إلا تمهيد وبوادر ظهور العنف الفعلي الجسدي لا ريب.

[1]- ادوار. ج مواري، الدافعية والانفعال، ص 190.

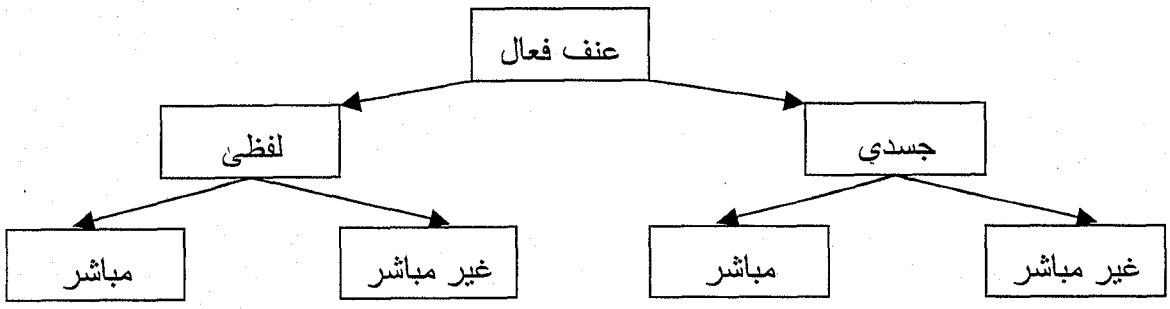

نقد تهديد ووعيد، إساءة تشهير

اغتياب سكوت

ضرب، جرح، قتل

ضرب ضد نائب عن الضحية

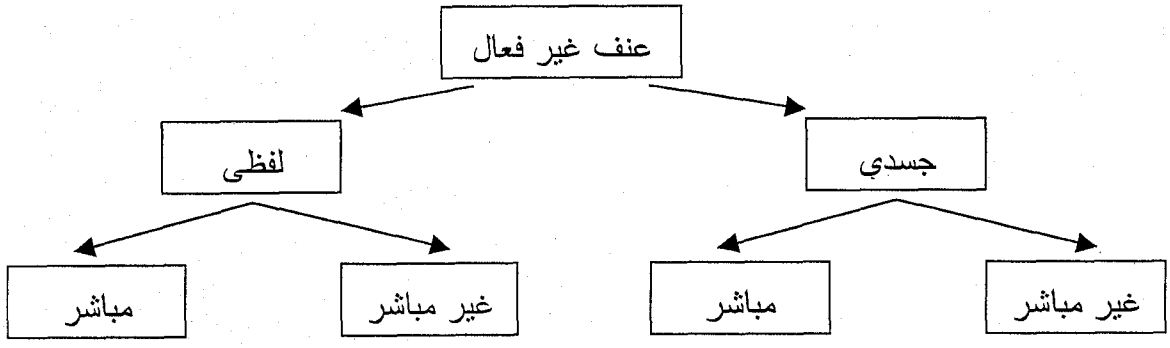

رفض القبول لفعل أمر

الإمتناع عن الكلام

رفض الأمثال و الإذعان

إعاقة تصرفات عن الضحية

مخطط تفصيلي لأشكال العنف[1]

[1] GABRIEL MOZAR : L'agression , que sais-je ? Presses universitaires de France – 1ère Edition – Avril 1987. p.13

ثانيا – دلالات العنف في المثل الشعبي:

لم يكن همّ إبراز موضوع العنف ودوافعه ومظاهره يقتصر على المجال الفكري وحده، وإنّما تموقع ضمن الموروث الثقافي الشعبي الواقعي، وبالذات ضمن المثل الشعبي الجزائري الخاص والعربي عامّة، فهذا الجنس المطبوع أصلاً بالحركية والتحوّل والتعاقب جيلاً بعد جيل وفترة بعد أخرى، انطلاقًا من منبته الأصلي بحكم المنطلقات التّي تفاعلت في عملية إنتاجه والتي تعود بالأساس إلى ظروف محيطة به، ينتج عددا لا متناهي من الحكم والقواعد أصبحت اليوم حكما ومقياسًا يستنجد به الإنسان وسط جماعةٍ لدعم وتدعيم أرائه وأحكامه، والتي تبقى مرتبطة بعادات وتقاليد وميول الكائن البشري وسط الجماعة.

إنّ الملكة الفنيّة والمنظار الواقعي والواعي للأمور سببان رئيسيان لامتلاك المبدع والصانع لهذا النتاج، الذي إستطاع بفضله أن يعوّض العنف الملموس المرئي في الواقع إلى عنف شفاهي متداول، يجول العالم بدون تأشيرة ولا جواز سفرٍ، فكم كان وما يزال إقبال جمهور القرّاء واضحًا بقوة عليه فيعبر بصدقٍ عن سرّ نتالي هذه الأمثال المعالجة لموضوع العنف بمختلف طبائعه وأشكاله ومظاهره.

إن معالجتنا لهذا الموضوع كفكرة أردنا تفجير معدنٍ خامٍ وجب علينا بل آن أوان إخراجه وكشف اللّثام عنه ليظهر كمولود جديد إلى حياة الواقِع، كلّ هذا مبني على مبدأ الانتقاد والاختيار.لعدد من الأمثالِ، لأن البحث في موضوع الأمثال الشعبية وظاهرة العنف يتطلب طرحًا ورؤية مبنية على الشفافية والواقع.

لقد استطاع المبدع وصانع هذا المثل أن يحتل مكانة مرموقة وكم كان حكما غيابيا، لأن المثل يذوب وسط الجماعة فغمض حقه، فأصبح صوت الشعب متداولاً

على ألسنة العامة من الناس، وقد انتقى الزمان هذه الأقوال المأثورة ووضع لها أساطير ارتبطت بها وما بقي منها ولم يزل فإنه أخذ اليوم القوة والجذابة على الرغم مما أصابه الدهر ومرور السنين وتعاقب جيل بعد جيل.

إن الأمثال جواهر قد حفظت من التلف باندساسها في ذاكرة الأجيال هي كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها ملامح ممتازة بتنوع الأقوام وارتباطاتهم، ذلك لأنها وليدة لظروف معينة تظهر مع التاريخ والجغرافيا والمناخ .

وما لا يختلف فيه اثنان ونحن مع وقع المثل هو أن خاصيته الأساسية هي الإيجاز، فالأمثال قليلة اللفظ كثيرة المعاني وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فلسفة بل على فن الحياة بلا منازع، إنما تعبر عما تكنه الشعوب في أعماق أنفسهم، لذلك يكاد يعرف قائلوها من بين هذه الشعوب بمجرد الاطلاع على مضمونها وأسلوبها وطريقة التفكير فيها، " فالمثل الصيني على سبيل، المثال لا يشبه إطلاقا المثل العربي أو السلافي أو مثل إفريقيا السوداء، وكذلك المثل الانكلوسكسوني لا يضارعه في شيء المثل المنتمي إلى الحضارة اليونانية اللاتينية"[1] .

وهكذا فإن لكل شعب أو مجموعة من الشعوب كنزا من هذه الحكم يفتخر بها كما تحتوي لغة التخاطب عندنا على معين لا ينضب من كل هذه الأمور.

فالمساهمة في تدوين هذه الثروة وجمعها للحفاظ على خصائصها نأملها فائدة علمية بالدرجة الأولى فهذه الأخيرة دفعتنا دفعا حماسيا بصدق وإخلاص للقيام بهذه الدراسة التي نقدمها هاهنا، فكل من ساهم ولو بكلمة يبقى له الذكر

---

[1] – قادة بوتارن= الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة: د– عبد الرحمان حاج صالح ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر– 02– 1987– ص5.

الحسن، ولم يكن هذا أمرا هينا خاصة وأننا نجمع هذه الأمثال حسب الموضوعات ومراكز الاهتمام غير أن المثل يصعب أن يدرج في باب من الأبواب وأن يركن في مكان معين ضيق لأنه قد ينتمي إلى أكثر من موضوع وهذا هو سر الأمثال وخباياه وقد تتعارض وتتداخل أحيانا.

فيرى الكاتب الفرنسي **هيسي** أنه "ما من مثل إلا وله مثل آخر يناقضه"[1]

من هنا انصب الاهتمام والولوع، فكم هي الأمثال التي تعد ولا تحصى والتي تندرج تحت باب العنف والتي بدورها تعارض ما تندرج تحت باب السلم والهدوء، لكن لسنا نبالغ إذا شاطرنا **من قال "إذا كنت تريد السلم فتهيأ للحرب".**

وحاولنا أن نحدد دلالات العنف وعمدنا التحليل لتوافق بعضها وترابطها في معنى واحد أكثر من مرة.

1- العنف الاجتماعي

أ- بين الرجال:

❖ **"اللي يداعى بالقوة يموت مذلول" ← مصدر المدعي بالقوة**

يضرب هذا المثل للرجل الذي يتكلم باسم القوة والجبروت، فتراه محلقا في عالم الكبر والتفاني في عالم الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأقوى. إلا أن ومع مرور الأزمنة، ما من شك أن نهاية هذه الصفة الذميمة، تنتهي بالمذلة، والهوان، فيصير بعدما كان لا يرحم، لا يرحم، كما تسنى للمفكرين تسميته قانون الأدغال- وفي المعنى يرد مثلا عربيا شاع بين الأوساط.

- البغي مصرعه وخيم.[1]

[1] - قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية- ص 5.

نجد مثلا آخر يبين المعنى ويقربه **بقولهم: "الثقيل إذا تخفف صار طاعونا."**[2]

❖ **"الطايق نطاق "** ← **مصدر المولع بالقوة**

إن الرجل الذي يدعي بالقوة يكون سريع الغضب لا ريب. تأتي هذه العبارة في أفواه الضعفاء الذين يعانون من تقلبات الأقوياء، وكأن كل شيء أمامه مسموح للانفعال والتسرع ليقع في كل جانب فيقسو على الآخرين،و هذا من أخطر الإهانات للرجل البريئ المتسامح.

وقال الشاعر: إذا لم تخش عاقبة الليالـــي * ولم تستح فافعل ما تشاء

فلا والله ما في الدين خير * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء[3]

❖ **"أصل العداوة، المزاح"** ← النميمة أرثه العداوة.[4]

غالبا ما ينجم من مصاحبة الناس في مأمن، السوء والمكر والخداع، فتنتهي الصداقة، بالعداوة ولو غطاها قول فيه مزاح.

وفي المعنى يقول المتنبي:

يخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح.

❖ **"ما يصلح لا للعادة ولا للعبادة"** ← سلبي المزاج.

---

[1] – أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي– الأمثال– تحقيق محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية الجزائرية ط 1994 ص 24 باب المواعظ والأمثال رقم 81.

[2] – الخوارزمي = الأمثال– ص 40– باب المواعظ والأمثال رقم 314.

[3] – سيمون ابراهيم حمصي: من الحكم والأمثال الشعبية ناقص م– ص 207.

[4] – أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني)– مجمع الأمثال– م2– منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت لبنان– ط2– دت ص 398.

إنّه الرّجل الذي طالما انغمس في الشهوات، فراح بخطًا سريعةٍ يهرول، أينما وُجد، فغزا ورائي وانتهاكَ الحرماتِ فبدَا أدرك الخداع فدَنَا وتعلّم القتل فقتلاَ، ومنه قول أحدهم:

لا ينفع الذّكر قلبا قاسيًا أبدَا * وهل يلين لضرس الماضغ الحجر[1]

❖ " **الذِيّبْ الْحيّلي يَتَقْبَضْ مَنْ رَجْلِيهْ الرّبْعَة.**" ← مكر الذئب في ذاته.

إنّ الذئب المحتال يمسك من أرجله الأربعة.

ويؤخذ بهذا صنف أولئك الذّين يكثرون من الاحتيال، والدهاء وسائر المخادعات التي ما عرفوا راحة إلاّ بعدما حققّوا الجرائم، فيصعب اِصطيادهم، بل من الناذر القبض عليهم.

وعن هذا الصنف يقول أحد الشعراء:

قتلت أناسًا هكذا في جلودهم * من الغيظ لم تقتلهم بحديدِ

❖ " **إذَا كُنْتَ رِيحًا فَقَد لاقَيتَ إعْصَارًا**" ← صفة تقلب الرجال في المعاملة

فالمثل يضرب بحال الرجل الذي طالما كان يعرف الهدوء والأمن في شخصيته داخل المجتمع الذي يعيشه، فسرعان ما تتحوّل معاملته الطيّبة مع الآخرين إلى معاملة قاسية، فوصف بهذا الوصف، حاله كحال الحشرة التي لا تقتل، بل تحرك مشاعر القلب فقط لتصبح حيوانا يعرف ما يعرف من ترك أثر الأذى والضرر بالانسان فلا أمان في الثعبان ولو كان ميتًا.

[1] – سيمون ابراهيم حمصي الحكم والأمثال الشعبية ، ص259.

❖ "**اصطحبت الكلاب على عراقيب الساسي**" ← نبذ القوة وزرع القساوة

إنها صورة حية من الواقع، فكم هم كثيرون، أولئك الذين يجتمعون سرا، بل يصطحبون أعواما لارتكاب المعاصي وزرع الرعب والقساوة، فعلا وقولا على رؤوس أناس من صنف المسالمين الهادئين.

وفيهم يقول الشاعر:

وليس فيهم من فتى مطيع * فلعنة الله على الجميع.

❖ " **المعتدي غلبان ولو كان سلطان**" ← عدم الغرور

إنه الذليل الخانع، أليس كل طائر إذا طار وارتفع إلا ويأتي يوما يقع.

إن الذي يتعدى حدود الله فقد كفر، بل مغلوب" بعد فعلته ولو كان يترأس أقواما، فلا ظالم إلا والله يبليه بأظلم، قال الشاعر:[1]

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظـــالم إلا ويبلـــى بأظلم

وقال آخر:

لكل شيء آفه من جـــنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد.[2]

❖ "**أولاد مسعود، يشووا الدهان على العود**" ← البغض والقساوة

كثيرة هي الأمثال التي عرفت رواجا بين ألسنة الناس عامة، والتي ما من ورائها سوى الحكمة القائلة **شدة المؤثر تحرك الذاكرة دوما.**

كيف لا وباطن المثل صورة لأولئك الذين يتسرعون في الحكم حتى أنهم يبالغون في فعلتهم التي تنتهي بالنقد، فمن المستحيل شواء الزبدة على عود، لكن هؤلاء

---

[1] – سيمون ابراهيم حمصي : من الحكم والأمثال الشعبية، ص 104.

[2] – سيمون ابراهيم حمصي– من الحكم والأمثال الشعبية المرجع نفسه ص 272.

أراد مبدع المثل تصويرهم، لحدة وشدة قساوتهم، وتآمرهم، فهم يبطشون دون ما حياء بالرجل الضعيف، حتى أن أعمالهم اللاأخلاقية لا يصدقها العقل ولا يقبلها المنطق.

❖ **"هذاك ما عنده لا دين لا ملة"** ← عدم الاستحياء.

وفي المثل حث على تجنب المرائين، الذين لا يستحون من الله فيصنعون ما يخطر ببالهم، فالعنف والصراع، والقهر والقساوة ملابس يلبسونها، وللإمام الشافعي وقفة في هذا الجانب محذرا:

اعرض عن الجاهل السفيه * فكل ما قال فهو فيه

ما ضر بحر الفرات يوما * إن خاض بعض الكلاب فيه.[1]

❖ **"قد ما عنده الجاهل في جهله، قد ما عنده العاقل في عقله".** ← ظلم الهوى والنفس.

ومن الواضح أن هذا المثل قيل في معرض اليأس من السفيه الذي تنجم من ورائه إلا المساوئ فجهله اللامتناهي ومآمراته التي تقوده لا محالة إلى التردي، فهذا النوع العنيف يقابله نوع لا يقاس به سوى في كم الحكم والأخلاق الفضيلة التي يمتلكها العاقل، لتراه دوما إلى السلم يجنح.

[1] – ديوان الشافعي– لأبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (150هـ– 204هـ.ت) دار الهدى– عين ميلة– الجزائر– ص 40.

❖ **"فلان ما وراه غير العجاج"**[1] ← كثرة الظلم

إنه الرجل الكثير المصائب المقبل دوما على ارتكاب المعاصي واجتناب المحاسن، فيراه الناس من نوع يقبل كل وصف غير لائق، فالرجل صعب المنال، فينغمس في قاع المشاكل، ثم يكتشف أمره بعدها، فأصبح وصفا بل يضرب به المثل.

❖ **"مليح مع مليح عاشوا قانه، قبيح مع قبيح كلبين على ندامة."**

الطيب مع الطيب يتفقان بكل بساطة، والقبيح مع القبيح كلبين يتخاصمان، فالتعاون بين الصالحين يسفر دائما عن نتائج حسنة، وعكس ذلك فاجتماع الأشرار لا ينتج منه إلا الشر.

❖ **"يكتلوا**[2] **الميت ويمشوا في جنازته"** ← التطاول في المعاصي كتما.

إن المبدع والمنتج لهذا النتاج البليغ بعد معاشرته الطويلة لأصناف البشر، أدرك بأن ثمة صنف مزدوجو الشخصية والمزاح وأنت تضحك فهو يضحك معك، يواسيك، ويؤاسيك، لكن كل ما يلحقك من ضرر فهو المدبر الأول والمسطر لهذه المكائد.

❖ **"ما تتغاطشي الشمس بالغربال"**

إن النجاة المتولدة من الكذب سريعة الزوال، وفي المعنى قال شاعر:

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد[3]

---

[1] – العجاج: الغبار الكثيف الذي تحدثه العاصفة، وهو يغطي كل شيء.

[2] – أي يقتلوا، قلبت القاف كافا.

[3] – سيمون حمصي ابراهيم– من الحكم والأمثال– ص 216.

❖ **"شيطان بني آدم اعور، وشيطان اليقر أبتر"**

كم هي نظرة بليغة أراد بها مبدع المثل وقائله أن يندد بمن يترأس عصابة من بني البشر، فوصفه بحقيقتة أنه أعور، أي ينماز عن الباقي، فهو يحمل كل الصفات الرذيلة وأنه يصنع ما يشاء دون سابق إنذار أو حتى تردد، فنعته بالأعور صفة نقص.

❖ **"ما مات ما ترك ناسه يرحلوا"** ← كثير الظلم

كناية عن الرجل الذي ولد مشاكل لانطلاق بين ذوي بلدته فرغم صبرهم وحلمهم إلا أنهم وقفوا حائرين دون حل، إنه صنف المشاغبين ونجد أبا فراس يصف هذا النوع قائلا:

معللتي بالوصل والموت دونه * إذا مت ظمآن فلا نزل القطر[1]

❖ **"يموت النفاق ويبقى الرزاق"** ← فناء الظالم والظلم

إنما حقيقة لأمراء فيها فكل نفاق إلا ومن وراء تدبيراته العلل والمصائب لذا جاء المثل ليطلق العنان ويكشف اللثام على هؤلاء المنافقين فجاءت الصفة على وزن فعال دليلا على كثرة التآمر والتحايل.

❖ **"فلان وفلان كلبين على عظم"**

قد ينشب صراع بين إنسان وآخر، وقد يدوم طويلا ولا يمكن الحكم بين هذين الصنفين كونهما يخيطان بالخيط الأسود من جهة، وقد يتصارعان إلى حد الموت على شيء يراه كل واحد منهما ملكه فينشب هذا التنافس.

---

[1] – سيمون ابراهيم حمصي– من الحكم والأمثال –ص 139.

❖ "**عَدَاوة العَاقِل أفضَل مِن صُحبَةِ الهبيل**" ← صحبة الأحمق تولد العراك.

ونحن نتمعّن في قراءة المثل، قراءة مخفية بين مفرداته التي تنشئ الكثير، نستشف ظاهرة العنف التي غالبًا ما تبدأ من قولهم: المحاولة والخطأ تؤدي إلى التعلّم، أو قولهم العادة وليدة التكرار، كلّ هذا ينجرّ من المعاشرة التي تبدأ منذ الصغر، لكن في المثل قراءة ثانية تتمثل في قدرة الرّجل على تخطّي المعقول والوصول إلى مالا يحمد عقباه.

❖ "**الْشلاَوْشِيَة يصَحْبُوك الصّبَاحْ ويَتَرْكُوك العشّيَة**" ← الغدر بعد التنديد بالصداقة.

يضرب المثل في نوع الرّجال الذين يدعّون الصّداقة بابتسامة ليست من أعماقِ قلب صافٍ، فبعدما صنفّوا ضمن أولئك الذين يلهفون وراء ارتكاب المعاصي والإساءات للآخرين، فكلمح البصر يختفون بعدها مباشرة وكأنّهم لم يعرفون هذا الإنسان الصادق المسالم يتركونه بكلّ برودة أعصاب وبلا تفكير، فهؤلاء أصحاب مصالحٍ خاصّة يرفضهم المجتمع جملةً وتفصيلاً.

❖ "**العدّو مَا يَصير صْدِيق، والنُّخالَة مَا تصِير دْقِيقْ**" ← عدم توبة الظالم.

إن في المثل دلالة واضحة وتفسير محكم للمثل السابق، فيضرب في الرّجل الذي أصل معاملاته عداوة، فمن المستحيل معاشرته وجعله كالصديق، فمثله مثل ما ينتقى من الدقيق ليقدم كغداءٍ للدجاج والطيور، كذا قولهم:

❖ **"كل قصير مكير"**

❖ **"كل منقوص منحوس"**

إن المثلين يعرفان دورانا سريعا بين أفراد المجتمعات عامة والمجتمع الجزائري خاصة، وما يحملانه من دلالات عميقة، فالقراءة الخفية بين القولين تهدف إلى ما يخلفه وينجر عن سوء التصرف والنقائص التي يحملها بنو البشر ليس شكلا وإنما عمقا، فالذي لا يحمل عبارات الود والتسامح والتصالح يبقى في نظر العامة مبتورا، ينتقد لا محالة وسط مجتمعه الذي يعيش في غضونه.

❖ **"فوت على الواد الهرهار ولا تفوت على الواد الصامت".**

ليس من شك في أن صانع المثل وقائله كان ممن يمجدون فكرة التحذير من نكبات الدهر، وحسن التدبير والتصرف، فنراه في هذا المثل يأمرنا بمصاحبة رجال السلم بلا منازع، أنهم الهادئون الصامتون لكنهم في هذا المثل يحملون صفة الواد الذي يحدث صوتا وهو يندفع والابتعاد عن صفة الواد الصامت الساكن، لأن الماء به لا يسير، فهو ملوث، هكذا شأن أولئك الذين تراهم لا ينطقون إلا بالقليل، ولا يبتسمون كثيرا، لكن ورائهم ماورائهم من مآمرات وسوء المعاملة.

❖ **"الوقت راه تقلب. والحمار على العود يجلب".**

إنه مثل في غاية التصوير، بل بلغ صاحبه الهدف المنشود، إن تقلبات الدهر ونكباته تصنع ما تصنع، بعدما كان الرجل المثالي له مكانة لا يستهان بها في مجتمعه الذي يعيشه، أصبح يواجه صعوبات ومواجهات من قبل من أقله معاملة، وتصرفا، وحكمة.

التنكر للأصل:

❖ **"آشْ يخُصَّكْ يَا الْعَرْيَانْ؟ يْخُصْنِي الخْوَاتَمْ يَا مُولاَيْ!**

ما أراده صاحب المثل من رصده، إلاّ الإفصاح بدوّي العقول الجافة، والقلوب الصّحية، الجافة من أفعال الخير والودّ، وتراهم دومًا يبحثون عن الحكم والجبروت والتسلّط، فمن المجازفة تحقيق أحلامهم ومآليمهم وهُم في انتهاك الحرمات منغمسون، وفي القساوة وإلْحَاقِ الضرر بغيرهم يبحثون، وفيهم قال أحدُهم:

بمكارم الأخلاق قبل العلم سد * يـــا أيّـــها الـــمتقدّم المتأخّرُ

هُنَّا عليك لطيـــبة عـــربيـــةٍ * خلناك مـــبتسمًا وأنت مكشّرُ[1]

❖ **"الطول للشجر، الغلظ للبقر، والعقل للبشر"**

يوّجه هذا المثل للمزعجين من الناس كأنّه يقول: أكثروا من إزعاجكم ولا تتورعوا فإنّ كلّ هذا لن يكون له أيُّ أثر ومن التوسّع بل إن انتقادكم وهجوماتكم لن تؤثر إطلاقًا في نفوس المتواضعين، لأنّ أصل الرّجل منبته ومسقط رأسه، قد يأخذ مسار المثل القائل:" **اللباس جْرِيدي والعْشَاء كْرِيدي**".

❖ **"اَلْبغَلْ مَا يَنْسَى الصِّكَّةْ وَاليْهُودِي مَا يَقْصُدْ مَكَّة":**

إن بيت القصيد الذي يؤول إليه قائله، نوعٌ فريد من الرّجال تطاولوا في المعاصي وارتكاب الجرائم، فلن ينفعهم نصح وناصح، فمن غير المعقول القصد إلى بيت الله الحرام من لدن اليهودي.

---

[1] – نقلا من: سيمون حمصي– ابراهيم– الحكم والأمثال ص 141.

وفي المعنى ينشد الشاعر القروي قائلاً:

خَـلْقُ سَـافِلُ وقَلْـبٌ غَلِيـظٌ * وَلِسَانُ سُلْطُ وَوَجهٌ نَاضِـبُ[1]

لن يعادي من أجلك العلج علجًا * والأفاعي بنات عمُ العقـارب

حكم الدّهر أن نلوذ بأكـنـافِ * الأعادي منهم إليهم هـاربٌ

❖ "الغُرَابْ حَبّْ يَمْشِي مَشْيَةْ الحْمَامَة نْسَى مَشْيَتَهْ"

إنّ صاحب المثل على دراية كاملة بالتحوّلات في المعاملات، الليّ غالبًا ما يجني منها سوى الخسران، فعلى الانسان أن يقتدي بالحسن وأن يفكّر ملّيا قبل إتخاذ فعلٍ، قد ينجّر من ورائه نظرة سوءٍ لبعده عن المألوف، فإمّا أن يكون صديقًا وإمّا ألاّ يكون، فلا وسط بينهما وفي المعنى ينشد الامام الشافعي قائلاً:

ودع الذّين إذا أتـوك تـنسكوا * وإذا خَلَوا فـهم ذئابٌ حِقَافِ[2]

❖ "من فَاتَكْ بَكُبْر الْخيَامْ، قس له بَطُولْ الْعمَدْ"

إنّما صفة الكبر، التي نهى عنها الله تعالى ورسولُه، فالمتكبّر من الثلاثة الذيّن لا يكلّمهم الله عزّ وجّل يوم القيامة، فالمثل صورة لواقعٍ حيّ، فمبدع القول ينصح ويرشد بالحذر من هذا الصنف فللشافعي تدعيم مني هذا حين قال:

ومن هاب الرجـال تهيبّـوه * ومن حقَر الرّجال فلن يـهَابَا

ومن قضت الرّجال له حقوقًا * ومن يعص الرّجال فما أصابا[3]

---

[1] – نفسه ص 143.

[2] – أبو عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي– ديوان الشافعي (150هـ– 204هـ)، دار الهدى– عين ميلة، الجزائر، د، ط، 1998 ، ص 35.

[3] –، [24] – ديوان الشافعي، ص 37.

❖ "تَارَكْ الصّلاه يْقُولْ لَبابْ الجَامَعْ مْبَلَّعْ" ← سوء الطالع.

إنّها صفة بالغة الوصف، لتارك باب الصفح والسّلم، فتراه دومًا منغلقًا عن نفسه، معجب بطيائه مقتنعٌ بأن منفذ النجاح والفلاح مغلوقٌ، فيصف الشافعي هذا الصنف قائلاً:

لم يبق في الناس إلاّ المكر والملقُ * شوك إذا لمسوا زهر إذا رمقوا

فإن دَعتك ضَرُورات لــعِشْرتهــم * فكن جحيمًا لعلّ الشوك يحترق[1]

❖ "هَذَاكَ مَا عَنْدَه لا دين لاَ مَلَّة"

يضرب المثل للشخص الذيّ لا يخضع لدين أو قانون، فتراه كثير الهيجان والانفعال، فينهي تسرعّه هذا إلى اِرتكاب أفعالٍ لا تتماشى ومسامح الدين القيّم، فلا يكون ساعتها أهلاً للثقة.

وفي الباب يرى الميداني ما يطابقه قائلاً:

❖ " خَمْرُ أَبِي الرَوقَاء لَيْسَتْ تُسْكِرُ"[2]

وفي المعنى مثل آخر يقرب الصورة، فعند العامّة من الناس قولهم :

❖ "مَا يَصلُحُ لاَ لِلْعَادَةِ وَلاَ لِلْعِبَادَة" مَا يَنْفَعُ لاَ لَلصّدِي وَلاَ لِلْعَهْدِي"

❖ "تْهَارْ مَعَكْ وَنْهَارْ ضِدَّكْ" ← تقلب الرجال

صفة الرّجل الدنيء السيء الخلق، الإزدواجيُّ الشخصية، يتلوّن في معاملاته كتلوّن الحرباة، فالصنف يغزو المجتمع، وَمَا من وراءِ لقائهم إلاّ الضياع والخسارة

---

[1] – الشافعي.

[2] –الميداني: مجمع الأمثال تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ص 246.

البالغين، فيوم" قد يقضيه هذا الانسان معك بشوشا يتسامح ويعطف ويتوافق مع آرائك، ويوم آخر له ما يضع من المجازفات والتحايلات التي تنتهي غالبا بالأسوء وخير ما يوضح هذه الصورة في المثل قول الشاعر:

لا خير في ود إمرئ متلون * إذا ما الريح مالت مال حيث تميل

❖ **"الجيعان إذا شبع حاله صعيب"**

والصورة حكمة بالغة، فبعد ما كان يقتدى بحكمه، وكان سهل المعاشرة، صار مدللا، يفرض جبروته وقوته على خيار القوم الضعفاء، ومنه يسير مثل آخر في باب الحكم فقيل: بطن جائع ووجه مدهون[1]

ومنه قولهم: إن جاع تذلل وإن تشبع تدلل

❖ **"القلية ساهلة على رعيان الخيل"** ← التطاول على الأقوياء

إنها لنظرة صائبة من رجل غمض حقه وسط الجماعة، فتداوله الخاص والعام، صفات أولئك الذين انساقوا وانغمسوا في ملذات قوامها الخداع والتآمر والفجور، بعدما كانوا يوما ما قوم صلح وهداية، إنهم على دراية ساعتها بالفنون القتالية، فتراهم يجحدون كما كانوا يرشدون.

❖ **"شاف الجديد لاح البالي"** .

يضرب لمن لا يستقر على رأي في أمره، فبعدما كان يعيش في مأمن وأمان، جرى وراء الشر أينما كان، فبدل اليسر عسرا.

كنا وكنتم والزمان شر مبرم، صرنا وصرتم والزمان ترالي.[1]

[1] – محمد علي قاسم– الميداني– كتاب مجمع الأمثال، مكتبة المعارف– بيروت لبنان ط 1986 ص 174.

❖ "سَارَقْ وفِي يَدَهْ شَمْعَة" ← استخفاف الأمر

مثل الذي لا يفرّق بين الخير والشّر، فأينما كان شارك في العمل **ومقولة الشاعر المشهورة تقربنا أكثر للمعنى:**

ولا خير في ودِّ امرئٍ متلون * * إذا الرّيح مالت مال حيثُ تَميل[2]

❖ "إِيَاكَ منَ الْعَرْبِي إِذَا اتْقَصْرَى" ← الغدر

وَإِيَّاكَ مِنْ الْحَضْرِي إِذَا تْعَرْبَى.

إنّما حكمة بالغة يتناقلها أفراد الشعب بلا منازع للردّ على التقلبات والنكبات التي تحلّ فجأة، وعدم الاستقرار في الآراء والأهواء، فالصيغة "إياك"- التحذير، فالحذر من تغير طبائع الشخص واجب على أيّ فرد مراعاتها فبالرغم من أنّ العروبة تجمع الصنفين، لكن هذا لا يمنع من اليقظة والحذر من تغيّر السلوكات التي غالبًا ما ينجم عنها الإساءة والضرر، وإلاّ فلماذا صاغ المبدع والمنتج لهذا المثل والذي يعرف رواجًا كبيرًا.

❖ "فْلاَنْ له جَنْبْ ذِيبْ وَجَنْبْ ثَعْلَبْ" ← التقلّب والمكر

يتداوله الإنسان عندما يقف على شخص إزدواجي الشخصية والتعامل فتراه يقترف صفة الذئب لافتراس الصيد من جهة، ويقترف صفة التردّد لغرض البحث عن حلّ أشدّ من الأوّل، وفي المقابل نجد مثلاً آخر يعكس الصورة ويردّها إلى الموازنة بين الصفتين: **سَأْل الْمجَرَّبْ لاَ تْسَأْل الطْبِيبْ، مُخْ الثعْلبْ فِي رَاسْ الذِيبْ.**

---

[1] – سيمون إبراهيم حمصي– الحكم والأمثال ص 33.

[2] – سيمون إبراهيم حمصي– الحكم والأمثال ص 36.

فتفكير الذئب وذكاؤه يفوق ذلك عند الثعلب الأقل منه تحايلا ومكرا وغدرا وشراسة.

❖ **"فلان كالحنش ما يحفر غار ما يبات برا"**

فلنتصور معا هذا النوع من الرجال، يشبهه صاحب المثل بالثعبان الذي دوما لا نجد له أثرا إلا ما ندر، فلا تدرك مبيته، ولا حتى كيف يتم تفكيره وماذا سيفعل شأنه شأن الرجل الذي لا تراه يدعو يوما إلى الأمر بالمعروف ولا يوما تجده متلبسا في فعلته، فلا يترك إذن أثر ارتكاب التآمر والاعتداء، ورغم هذا تجده مع فئة السلميين مسجلا إسمه، وما أكثرهم في مجتمعنا، وقد يسير هذا المثل مع سابقه جملة وتفصيلا.

❖ **"فلان يلعب على خيل الضياف"** ← الانتهازية

ليس في الأمر سوى صفة المحتال الذي تطاول في ظلمه وجبروته ليضفي قساوته على غيره، وليس له مما جمعه قط، فالعودة على الضعاف ظلم، بل مكر في ذاته. وقد نجد هذا المثل صيغ بصيغة مماثلة عند العامة في قولهم:" **نم مظلوم ولا تنم ظالم**". وللشاعر وقفة عند هذه الكلمة الموحية:

تنام عيناك والمظلوم منته * يدعو عليك وعين الله لم تنم

❖ **"في الوجه مرحبا وفي القفا مندبا"** ← النفاق

ليس من شك أن القراءة المتأنية لهذا المثل تشي نوع اللئام، الذين إذا حضروا أمامك بادلوك الابتسامة، وإن غبت عنهم لحظة شتموك ورموك السوء.

وفي هذا الصنف أنشد شاعر=

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ** ويروغ منك كما يروغ الثعلب[1]

❖ "**يدخل بين الظفر والجلد**" ← التدخل في الغير بوادر العنف

هي صورة لا تستحق سوى الإفصاح على شدة وحدة تحايل الرجل بين الصراع والتصارع الدائمين، فمن يستطع تحمل الابرة وهي تدخل بين الظفر والجلد، فهناك من يدخل بين السرعة والتسرع في ارتكاب المخاطر والتنديد بها، فالمثل أحسن تعبير وأكثر تدليلا وحجة.

❖ "**فلان يدير غير اللي أكحل من التوت**" إنه الذي لا يخاف الله فترى المعنى أقرب إلى النفوس عند أحد الشعراء:

إذا لم تخش عاقبة الليالي * و لم تستح فافعل ما تشاء[2]

"إذا لم تستح فاصنع ما شئت"[3] فصدق المصطفى الكريم عليه الصلاة و السلام.

البيت حكمة بالغة صدق قائلها فالذي لا يخاف المولى عز وجل له ما يصنع في هذه الحياة من المعاصي، والمثل تنديد لكل سوء يعقبه إثم وضرر يصيب الأبرياء والأتقياء.

فلا والله ما في الدين خير * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء[4]

و صدق قائل :

رب قبيحة ما حال بيني * وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها و لكن * إذا ذهب الحياء فلا دواء

---

[1]- نقلا: سيمون ابراهيم حملي الحكم والأمثال ص 199.

[2]- نفسه، ص 206.

[3]- رواه البخاري.

❖ **"كدودة الحرير تغني غيرها، وتموت في سجنها".**

وصف للذي يجلب التلطف والتمدد لغيره، في تحقيق نواياهم السلبية ويتطاول في المعاصي، وعندما يكتشف أمره، فقد يريهم تدمير لشخصيته، فوصفهم أحد الناظمين:

فما أضرموا نارا ولا قدموا قرى * ولا اعتذروا من عسرة بلسان

والبحتري يصف نهاية هذا الصنف من البشر قائلا:

أعطى القليل وذاك مبلغ قدره * ثم استرد وذاك مبلغ رأيه[1]

ونجد المثل ما يقابله- " **وخضب بالصفاقة وجهه-**"

❖ **"نبيح الكلاب، ما يشد السحاب" ← الظلم زائل**

إن الرجال الذين يتآمرون ليل نهار، لتحقيق أو إلحاق الضرر، بمن هو مستور بفعل الخير، فلن يقدروا، فالله القادر، فهذا الصنف منقلبون لا ريب ولن يفلحوا.

❖ **"فلان كالبرطال ياكل ويقابل صاحبه"** ← الثناء الكاذب.

يضرب في الرجل الذي يتباهى أمام الجميع لحسن الجوار والمعاملات التي تحمل ما تحمل من مكائد وحيل، فيقع في صراع مع الأبرياء كونهم يعاملونه بلطف وحلم وصلح، إلا أنه يقف لهم حجر عثر، فيقفون حائرين، فهذا الصنف ما أكثره في يومنا هذا، يقسون، ويشددون ليجنون ثمارا لم تكن ملكا لهم. كقولهم:" قد جعل إحدى أذنيه بستانا، والأخرى ميدانا"[2]

صورة واقعية لذلك الذي لا يسمع قول واعظ ولا يلتفت إلى مرشد.

---

[1] – سيمون ابراهيم- نفسه- ص 198.

[2] – محمد حسين الأعرجي: الأمثال ص 92. مثل رقم 846.

❖ **"على من تقرا زابورك ياداوود"** ← عدم الاتعاظ

إن أكثر الناس، معرضون للزلل، وأقلهم يتراجعون، ومنهم فئة تستمر أعمال شغبهم ويواصلون، بل يجرون وراء ما يعرف بالاجرام وإلحاق الضرر بالمسالمين، فهؤلاء لا يصلحون ولا يهتدون، فكيف للواقع أن يرشدهم وهم فيه معرضون لأعمال القساوة والاضطهاد، فأراد صاحب المثل، أن يكون على هذه الوتيرة ليسلم أمره أمام حقيقة لا مفر منها. **وفي معنى المثل نجد الشاعر يبدي رأيه قائلا:**

من لم يكن عقله مؤدبه * لم يغنه واعظ من النسب[1]

❖ **"هذا كاللنج يغوي ويقطع المصور"** ← المظهر مخادع

وكأني بالقائل لهذا المثل، وصانعه: يمثل صفة الرجل الذي يتباهى أمام الناس بجماليات شخصيته واعتزازها، إلا أنه يخفي ما يخفي من صفات التحايل والتآمر البليغين فتراه ينغمس في عالم الظلم والدهر والقساوة بكل ارتياح ومنه قولهم:

وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الأمانا[2]

وفي السياق يضرب مثل عربي شائع:

فم يسبح ويد تذبح[3] ← في الرجل العنيف

---

[1] – سيمون ابراهيم حمصي في الأمثال والحكم– ص 206.

[2] – ينظر: سيمون حمصي– الحكم والأمثال الشعبية– ص 116.

[3] – محمد حسين الأعرجي: الأمثال ص 47 مثل رقم 364.

❖ "واللَّهْ يا الخَادَعْ لَوَادَعْ" ← فناء الخادع

في هذا النتاج الفنّي، قسمٌ بالله العليّ القدير، في أن كلّ إنسان يملك صفات الخداع والنفاق والتحايل إلاّ وموضوع أمام النهاية والتوقف في كلّ مسارٍ يقترفه، سيأتي يوما ليودّع هذا العالم، وفي المعنى والسياق نجد عبد الرحمان المجدوب يقول:

يَا ذا الزَمَان يا الغدّار * يا كَاسَرنِيَ من ذْرَاعِي

طيّحت من كَان سُلْطَان * وَرَكَّبْتَ مَنْ كَانْ رَاعي[1]

❖ "لَعْمَشْ فِي بْلاَد العَمْي كْحَلْ العْيُونْ". ← سلبي المزاج

كم يعرف هذا المثل رواجًا كبيرًا في وسط طالما غايته البطولة في عالم يحمل كلّ سمات السكينة والطمأنينة، فلنقرأ مثلاً بتأنٍ محكم في وسط مصغّر. أفراده عميان أليس بطلهم أعور، يرى بعين واحدة، فله ما يصنع من ضرر يلحقه بذوي جلدته كونه ينماز عنهم وكذا قولهم:" خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبِيضي وأصْقِري"

❖ "حُبُّكَ الشيء يُعْمِي ويُصِمُّ"

في مثل صورة لمن لا يعتبر، فبدون تفكير وحسن تدبير، يقع في اِرتكاب كلّ أنواع الصراعات فينغمس في طبائها وفي المعنى يقول الحصين بن المنذر:

أمرتك أمرًا حازمًا فعصيتني * فأصبحت مَسْلُوب الإمارة نادِمَا

فما أنا بالياكي عليك صبابة * وَلاَ أنا بالداعـــي لترجع سالمًا[2]

[1] – نور الدّين عبد القادر = القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب/ الطبعة الثعالبية الجزائر/ د. ت. ص 18.

[2] – سيمون إبراهيم حمصي: الأمثال والحكم ص 59.

❖ "مْنِينْ غَلْبُوهْ الدِيُوكَةْ رْجَعْ عَلَى مُوكَهْ"

صاحب المثل صاغه على طريقة معاملة الرجل وسط محيطه ومعاملاته وعلاقاته مع أقربائه ولكنّ نقائصه وعدم فكره وأفعالهِ الخيرية، لم يستسلم فكان أمامه طريق واحد ووحيد هو أن يظلم زوجته التي طالمَا اِحترمته وتقاسمت معه كرّ اللّيالي وغبن الأيّام، فالنوع هذا ضعيف النظر، دنيئ التفكير.

❖ "الاِسْمْ عَالِي وَالبُرْجْ خَالِي"

صورة الرجل الذي يدّعي أنّه متفوقٌ في جميع المجالات، وأنّه مسالم مع النّاس جميعًا، لكنّ في المقابل، أيّ بعد المعاينة وظهوره في المجتمع، تجده قد ظهر على حقيقته أنّه مخادع، وتحايل، ونموّه صفة ليست فيه.

❖ "اَللّي مَا جَاكْ شْنَاهْ مَا تَحْرُصْ عَلَى مَلْقَاهْ"

أيّ أن الإنسان الذي لا يتوافق مع العمل الحسن الخيري، لا فائدة من لقائه، وأن تكون دائمًا يقضًا حريصًا، متربّصًا، لأنّه من النّوع السّلبي في الحياة اليومية وكثيرًا ما اعتاد على التصدّي وفي العمق يضرب مثل آخر عندهم:

" أُطْلُب مِنْ كَرِيمٍ وَلا تَطْلُبْ مِن لَئِيمٍ"

وقال شاعرٌ:

أسأل العرف إن سألت كريمًا * لم يَزل يعرف الغنيّ واليسَارَا[1]

[1] – سيمون إبراهيم حمصي الحكم والأمثال ص 116.

❖ **"إذا تصاكت الخيل تجئ في الضعيف"**

إن المثل صورة حية لواقع عايشته أجيال بعد أجيال، فالصراع من أجل البقاء والبقاء للأقوى ، إنه قانون الغاب فالضعيف منهزم لا محالة،

كم ظالم يترك في غيه * فيوقع الشر بخير العباد[1]

❖ **"الخلطة تردي والجرب يعدي"** ← معاشرة الأشرار

إن كثرة الأصحاب قد تجعلك لا تستقر على أمر، فما أكثر الأصحاب حين تخصيهم، فهل نجدهم عند الشدائد ووقت المحن، نفس الصورة تقاس بمرض الجرب، الذي ينتقل من شخص لأخر من أسرع وقت ممكن

إذا أنت طلبت من اللئيم حوائجا * فقد طلبت العظام من الكلاب[2]

ومعنى آخر قد يقرب إلينا الصورة أكثر عندما قال مبدعه :

"أعلى الأصوات تصدرها الأواني الفارغة"

❖ **"دخلت النار بين الساق و التماق"**

أليست كناية على أن الأمر بعدما كان يبدو فيه يسر، وحلول ترى أصبح بل صار لا يطاق حمله ولا إدراك نهايته بالايجاب، فوصف قائله (المثل) بل كان بتعبير أدق وأقرب إلى نفوس المولعين بجماليات الأمثال وأبعادها.

---

[1] _

[2] – سيمون ابراهيم حمصي: الحكم والأمثال ص 28– مثل رقم 54.

❖ **"اللي ما يقدرش عليه الشيطان في عام ، يديره القراص في ساعة"**

وأنا أعيد قراءة المثل أكثر من مرات خمس، تبادر لي أن منتج هذا الصنيع وفق بقدر كبير لتقضي وقائع وأفعال صنف من البشر، تجاوزوا حدود الحق، بل خرجوا إلى عالم الطغيان ليقترفوا معنى اللامعقول، فالشيطان المريد عدو الانسان الصالح دوما فهل يعقل أن نتصور نوعا من هؤلاء في أسرع وقت ممكن أن يلحق الضرر بمجتمع بأكمله إنه القراص، نتيجة لمطامعه لا أكثر ولا أقل بل.....تقطع أعناق الرجال المطامع.[1]

❖ **"عمرك يا خماس الكرموس ما تشري برنوس"** ← الطمع

دلالة على الرجل الذي ينطوي في أدنى المعاملات، والتي لا تسمى ولا تعي من جوع، فما دام كل فعل يقوم به يسبب له الخسارة فلن يجني النجاح. كقولهم:

- **" يشتري الخصومة بالخير"**[2]

ويروى مثل شائع في قولهم:

- **"إن للرجل الذي استعانى فتجبر على الناس"**

❖ **"المرض يحط بالقنطار، والراحة تنزل بالوقية"**

المثل حكمة بالغة فيمن يقترفون أعمال العداوة والبغضاء، فتكثر نتائج أعمالهم السلبية وتنتشر بسرعة فائقة، معرضون للوم والعتاب وكذا قولهم:

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طربا * فالطير يرقص مذبوحا من الألم[1]

---

[1] – محمد محي الدين عبد الحميد: مجمع الأمثال ص 143 مثل رقم 716.

[2] – محمد حسين الأعرجي: الأمثال: ص 94 المثل رقم 858.

❖ "**الطمع يخسر الطبع**" ← الطمع الكاذب فقر حاضر

إن صفة الطمع ظاهرة وجب الحديث عنها، بل تعرف ما تعرفه من تحليل معمق ودلالات تلحق الضرر، دوما بصاحبها ومقترفها، بل ما يزيد الولوع أكثر تلك المآمرات التي ينهجها البعض لاكتساب حقوق ليس لصالحهم، فيلجئون إلى الكذب، والتحايل وصفات الاحتقار بلا شك فيوقعون ويلحقون الضرر والآلام بمن اصطادوه ويقع بين تفكيرهم المغري..." تقطع أعناق الرجال المطامع[2]

له ما يحمل من تفسيرات بعيدة لسابقه

❖ "**والله يا ذيبك ما يطلع عقبه**" ← الظالم منهزم

صاحب هذا المثل كان على دراية كبيرة بأصناف الرجال الذين عايشهم آنذاك وهو يتصرف بدهاء وفطنة، فبعدما أكتشف أن جلهم يتآمرون للحاق الضرر بالآخرين، صنع ما صنع بفكر سليم ومنطق محكم، ليقول بتصحيح العبارة هذه الكلمة التي تعرف دورانا كبيرا في المجتمع الجزائري، وأن كل من له يد مع هؤلاء لن يعرف مفهوما للمسالمة على الاطلاق بل يقسم وكأنه على دراية كبرى بما ينتظر هذا الصنف من مخاوف.

❖ "**يديك للحود وين اللي مشى ما يعود**"

إذا كان ما سبق قراءته آنفا، فما يرويه مبدع هذا المثل إلا عينة من المجتمع، فببرودة أعصاب يصنع اللئيم ما يصنع ليلحق الضرر والزلل بل قد يحرمهم من العيش الطيب، وأبعد من هذا إلى عالم اللارجوع.

---

[1] – سيمون ابراهيم حمصي: الحكم والأمثال الشعبية ص 152.

[2] – محمد محي الدين: مجمع الأمثال ص 143 مثل رقم 716.

❖ "كثر همه واش يلمه"

إن تداول هذا المثل في أوساط المجتمع الجزائري دليل على تفطن أفراده واهتمامهم بصفة الهم الذي يرتبط كل الارتباط بعدم الاتزان في ضبط الأمور ومعالجتها بكل تعقل فهذا صنف من الرجال فكثرت أفعالهم الدنيئة ومعاصيهم بسبب التسرع وعدم التحكم بالعقل والفطنة والدهاء، فمن الصعب عليهم معالجة هذه العلل لكبرتها وتكاثرها وما ألحقوه بذوي جلدتهم الأبرياء فوصفهم ببلاغة محكمة صوت الشعب في كلمة موجزة تخفيها ألفاظ هذا المثل بلا شك.

إن سلامة هذا الطرح يبوح بها أبا العتاهية فيقول:

المرء دنياه له غرارة * * والنفس له بالسوء أمارة[1]

ونجد المعنى في مثل أورده الميداني بقوله:

-من أكثر أهجر-[2]

❖ "قاع اللي حرثه الجمل دكه"

يضرب المثل للإفصاح عن فساد الشيء في عاقبته

من المعلوم أن المثل هو بمثابة البذور الطيبة التي تزرع في الأرض الخصبة. فتعطي ثمارا يانعة طيبة، بل عكس هذا إذا كانت الانطلاقة يشوبها الارتباك والتسرع، ينجر من ورائها ما لا يحمد عقباه، فسعادة العبد خواتم أعماله إن كانت طيبة.

وهذا ما تختصره ألفاظ مثل عربي لتفصح عن عاقبة التسرع في التفكير لجمع الكثير قولهم:

---

[1] – شكري فيصل: أبو العتاهية أشعاره وأخباره /د. ط. مكتبة الملاح للطباعة والنشر / دمشق/ د.ت ص 59.

[2] – أهجر في منطقه: تكلم بالهديان الميداني مجمع الأمثال 2 ص 297.

❖ "**الاسْتعْجَال شُؤْمٌ والمُسْتَعْجَلُ مَحْرُومٌ**"

إذن أصبح ظاهرًا أنّ الاستهتار واستخفاف الأمور يصبّب في وادِ فسدت رائحة مائه فأصبح طعمه لا يطاق شربه شأنه شأن الرجل الذي لا يفكر في الأمور بعقل وهبه الله إيّاه ليميز بين ما هو خير وما هو شر. وفي هذا الباب نجد من الأمثال الشعبية المتداولة في بعض مناطق البلاد كقولهم:

❖ "**إذا غَابْ العْقَلْ حْضَرْ البَلاَء**"

فليس من شك أن قيمة العقل تبقى هي سرّ نجاح المرئ في دينه ودنياه، وهذا ما نلمحه في قول أحدهم من الأمثال : جالس العقلاء أعداءً كانُوا أو أصدقاء.

❖ "**كنيتها طال همّي، حكيتها سال دَميّ**"

وكأنّي بالرجل يصف حالة الرجل الذي يحرص على كتمان أسراره إلى درجة تفوق كلّ تقدير. رغم درجة المرارة، إلاّ أنّه يستسلم ليفجّر هذه الخبايا بعدما كانت مكمونة فوصل به الحدّ إلى ما لا يحمد عقباه، فقد ألحق بنفسه الضرر وشدة قساوته إذن ليس من شك في أنّ مقتل الرجل بين فكيّه، فحفظ اللّسان وكتمان السرّ نجاح صاحبه محققّ بلا منازع.

وفي المعنى نفسه أمثال تعرف رواجًا منذ زمن ليس بالبعيد كقولهم:

- "رحم الله امرأً أصلح لسانَهُ"
- افضل الصدقة حفظ اللّسان
- من سرّه أن يسلم فليلزم الصّمت.

- "رَحِمَ الله امْرأً تكلّمَ فَغَنِمَ أوْ سكَتَ فَسَلِمَ"[1]

❖ **"كلّ شَاه بَرْجَلْهَا مْعَلْقَة"**

في المثل تذكير وتنبيه للمؤمن بأن ما يعمله خير سيلقى جزاءه عند الله، فالمثل وعظ خالص، ودعوة صريحة للابتعاد وتجنب صحبة الأشرار الذين غرهم شهوات الدنيا التي يرسمها إبليس للناس في كلّ مكان وزمانٍ.

ونلمس المعنى السابق أيضا في الأمثال التالية:

❖ **"الدنيا فايتة وتفوت، والحيّ فيها يموت، والطامع فيها مشموتْ"**

❖ **"منين تمرض تعرف ربيّ، ومنين تبرا تعمل الزلّةَ"**

ومن الأمثال الجزائرية التي جاءت حاملة لصفات التوجيه والترغيب والترهيب على سبيل التمثيل لا الحصر قولهم:

❖ **"كيف أُعَاوِدُكَ وهَذَا أثَرْ فَاسكْ"**

في هذا المثل توجيه إلى الابتعاد عن معاملة اللّئيم لأن ذلك تشبيه بما هو فيه، كما أنّ النزول إلى مستواه الخلقي الدنيء يجعلهما في مرتبة واحدة عند الناس.

وما يزيدنا ولوعًا بالتدليل والصقل المستمّر، صفات ومميزات بارزة في الشخص الجزائري، الميال إلى الصراحة والوضوح على حدّ وصف أحد الباحثين في سمات الشّخصية الجزائرية حين قال:" تتميز الشخصية الجزائرية بحب

---

[1] – الميداني ج2، 449 (وروايته: " رحم الله عبدًا قال خيرًا فَغنِمَ أو سكت فَسَلِمَ")

وما يزيدنا ولوعا بالتدليل والصقل المستمر، صفات ومميزات بارزة في الشخص الجزائري، الميال إلى الصراحة والوضوح على حد وصف أحد الباحثين في سمات الشخصية الجزائرية حين قال:" تتميز الشخصية الجزائرية بحب الصراحة والأسلوب المباشر في المعاملات. ومقت اللف والدوران في الحديث بين الأفراد والجماعات، ومن الشواهد الثقافية لهذه السمة تؤكدها الأمثال الشعبية الكثيرة[1]" التي تقتصر على ذكر منها:

- "اللي يدس بزاف يموت بالزعاف"
- "اخرج لربي عريان يكسيك"
- "صفيها تبقى فيها"
- "الكساء جريدي والعشا كريدي"[2]

فلننظر نظرة بمعنى للمثل الأخير، نستشف حقيقة وجب ههنا الإفصاح بها وهي تعريض وتهكم الشخص المتبحج المتكبر في كسائه أو ثوبه، وهو في واقعه وشاكلته العميقة يقترف ما حرم الله- من المعاصي والمآثم وهو لا يملك ثمن عشائه من عرق جبينه وهو يحمل صفة اللئيم فالمظاهر تخد عنا لا ريب.

[1] – قادة بوتارن- الأمثال الشعبية الجزائرية- ص 436.

[2] – قادة بوتارن- الأمثال الشعبية الجزائرية- رقم 876. كلمة جريدي- نوعية قماش من الطرار الأول يلبسه أصحاب الصحراء كثيرا (الفارس) وكلمة (كريدي) فرنسية الأصل وتعني الافتراض.

❖ "لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك"

كم يعرف هذا النتاج الفكري دورانًا على ألسنة العامة من الشعب الجزائري، والذي يضرب صوب الانسان الذي تكتسيه صفة الطمع حلّةً، يراها وسيلة وأداة لبلوغ هدف مأساوي، فهو على حقيقته بعيدٌ كلّ البعد عن معنى الرّجولة، فنجد هذا المثل يحمل المعنى نفسه للمثل القائل: اللّبسة جريدي والعشا كريدي".

❖ "لا رَأيَ لِمَنْ لا يُطاع" ← الثناء الكاذب

ما يلاحظ في هذه العينة الشعبية التي تضرب في مواقف النقد الذي يحذو حذو التداخل بين الخير والشّر، فمهما تجمع من أصدقاء تظنهم أوفياء لكن بحكم معاشرتك لهم ولطبائعهم تقف على تحايلهم، وما أكثر هذا الصنف في المجتمع المعيش وأكثر ما تنتهي به حيلهم القساوة والظلم، ليولّدوا ساعتها ما يعرف بالضغط والتوتر.

وفي معنى المثل هناك أمثال عربية نذكر منها:

❖ "أَضْيَقْ السُجُونْ معاشرة الأضْدَاد".

❖ "لاَ تصحب الشّرير لأنّ طبعك يَسْرِق من طَبْعِه"

❖ "اِصحَب الأخيار تأمن الأشْرَار".

وما تشبه هذه العيّنة من الأمثال من مفاهيم تصبّ في تنوع طبائع الناس باختلاف المزاج فمنهم الأخيار والأشرار، وصاحب الشرّ بيّن، وصاحب الخير بيّن كذلك وهناك ما يبين الصورة أكثر إلى نفسية المتذوق لهذا النتاج الرائع في قوله:

- والناس كالنبت فمنه حنظل
- أدنـــاه مـــر والـــكثير يقتل
- ومنه كافـــور ومنه منـــدل
- ومنه ما أصح كذبا يؤكـــل
- ومنه ما تشـــر بـــه هنيـــا[1]

❖ "لا تأمن الشتاء حتى يفوت ولا تامن عدوك حتى يموت"

الظاهر من المثل الشعبي أن قائله عمد إلى صورة مقابل الصورة أو ما يعرف بالقياس، فبقدر ما يخاف الإنسان شدة وقوة ما يحدثه فصل الشتاء من خيرات يراها الإنسان الذي لا يجد ما يحميه دائما في غير مأمن بل يعرف تذبذبا نفسيا فلا يجد راحة إلا بمجيء فصل الربيع، وكم تراود هذه الفكرة الإنسان البدائي الذي دوما يخال له أن فصل الشتاء فصل انقضاء الحياة وبروز الموت بعدما يراه كله حزن للطبيعة فربط المبدع هذه الصورة نفسها بصورة الصاحب الذي تحول إلى عدو فأصبح ظاهرا، فلا أمان منه إلا ساعة مفارقته للحياة حتى لا يلحق به أذى ومضرة.

ومن الأمثال العربية:

❖ "إن صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار".

❖ "خالط الناس وزايلهم"[2]

❖ "من أحببت فلا تأمنه، ومن أبغضت فلا تهجره".

---

[1] – أسعد أحمد علي: فن المنتخب العاتي وعرفانه /مجلد1 / ط1 دار النعمان لبنان 1968، ص 224.

[2] – الميداني المجمع الأمثال ج1 ص 164.

ب- عنف الرجل على المرأة:

ليس من شك أن المرأة قد عانت في عصور توالت من نظرة المجتمع السلبية إليها، فالأثينيون- أكثر الأمم القديمة حضارة- أرادوا من المرأة سقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق.

أما الفكر اليوناني القديم نجد "أرسطو" في القرن الثالث قبل الميلاد يقرر أن الأسرة ضرورية للمجتمع، فالمرأة بالقياس للرجل-" إعتبرها أقل منه عقلا وكفاية وأضعف بنية وأحط مرتبة، تعمل باشرافه في المنزل وتعنى بتربية الأبناء."[1]

أما شرائع الهند، أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خير من المرأة.

1- المرأة والغريزة الجنسية:

أضف إلى ذلك أن العصر الحديث نجد الفيلسوف الألماني المشهور "نيتشه" (1844- 1900) صاحب المقولة المشهورة:" أذاهب أنت إلى المرأة ؟

فلا تنس إذن سوطك"[2] فهو يؤمن أشد الإيمان أن المرأة بطبيعتها مخلوق ناقص، وفيها من العيوب الكامنة ما يحتم علينا إلا بعهد إليها بأي عمل جدي، فالمرأة تهتم بالأشخاص، لا بالأشياء، وأفضل ما يمكن أن تحتل المرأة من المكانة، هي مكانة الأشياء فحسب.

ومع أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة إلا أننا نجد في المقابل فلاسفة مسلمين اختلفت نظرتهم إليها. فأبو حامد الغزالي (1058- 1111) مثلا، كان رأيه في المرأة أنه دعا إلى تقييد حريتها، وعدها آلة بيد الرجل، تثير الشفقة

---

[1] - عبده الشمالي- تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها دار صادر بيروت 1965- الطبعة الرابعة- ص 72.

[2] - فؤاد زكريا- نوابغ الفكر العربي- دار المعارف- د-ت- ص 122.

لضعفها وغلبة الفساد على طبيعتها واستند إلى الحديث الذي يرى أن المرأة الصالحة كالغراب الأعصم بين مائة غراب.

كما حث الرجل على الرفق بها لأنها مخلوق ضعيف، كما فرض عليها التقيد التام بارادة زوجها...[1]

إن المجتمع الإسلامي في نظره لا ينال درجة الرقي إلا أطلق جناحي المرأة وتخلص من القيود التي تعتري حريتها.

أما قراءتنا لصورة المرأة في المجتمع الشعبي من منظور أدبه وآرائه فقد اهتم بها اهتماما كبيرا حيث نرى مثلا ما نراه في الحكايات الشعبية والشعر بعامة والأمثال الشعبية بخاصة، ومن خلال جمعي الدائم للأمثال التي تصنع بين أطراف ألفاظها وسر معانيها صورة المرأة وما آلت وتؤول إليه في نظر الرجل، وجدت أنها في مجملها تعطي صورة سلبية، ولدت عنفا وضغطا وصراعا على مزاج الرجل ليضعها فوق طاولة التشريح للقدف واللوم ونعتها بمساوئ عدة، فالأمثال غالباها تهدف إلى تحذير الناس وتنبيههم إلى ضرورة اليقظة والحذر وعدم الغرور والولوع بجمالها وما يخفيه من سلبيات تظهر لا حقا مع مرور وطول معاشرتها؛ تكمن حيلها وغدرها ومكرها.

إن مما لا شك فيه أن المرأة كانت وما زالت موضوع إلهام الفنانين فهي كائن ضعيف، إذ هي غالبا ما تميل إلى عواطفها وشعورها ونادرا ما تتصرف بعقلها ومنطقها، وهذا ما يدفعها لا محالة إلى ارتكاب المآثم وممارسة علاقات غير شرعية.

---

[1] – عبده الشمالي: تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية– ص 545.–

وما يؤكد هذا الطرح أن الذاكرة الشعبية ازدهرت بالكثير من الأمثال التي عرفت بل تعرف دورانا كبيرا على الألسنة تدور كلها في فلك واحد نجمعه في عنوان:

2- كيد المرأة ومكرها.

ولعل من أشهرها ما سندرجه كما يلي مفصلا.

❖ "بعض النساء كلمتهم ما تتنسى ومرقتهم ما تتحسى"

يضرب هذا المثل للإفصاح عن تسلط المرأة بلسانها وهو وسيلة الكلمة الجارحة، فيكون لها الموقع في الأذن المرهفة البريئة حتى لا تكاد تنسى وإذا عزمتك على مأدبة فهي من شدة عنفها وبغضها لك تطعمك المر العلقم حتى لا تكاد تتجرعها كالدواء من شدة الكراهية، ككراهية امرأة العزيز للنسوة التي ذيعت ونشرت خبر مكرها بيوسف في المدينة فعزمتهن واعتدت لهن متكأ أكرمتهن ليس بالحساء إنما بفاكهة ونتيجة لبغضها ومكرها قطعت النسوة أيديهن.

❖ "حمقى وقالوا لها زغرتي"[1]

يعرف هذا المثل دورانا في المناطق الغربية من البلاد بالتحديد ونتاج هذا المثل يعود باللائمة على ما يثير أعصاب ذلك الإنسان مهما كان جنسه ذكرا أو أنثى وهو في حالة غضب وفقدان للسيطرة ومن العسير واستحالة الأمر أن نطلب شخصا دون عقل أن يتصرف كإنسان حالم.

فصورة العقل يوضحها من قال:

---

[1] – زغرتي: تلفظ هكذا في منطقة الغرب، وهناك من يلفظها و" لولي".

- "العقل نور القلب يفرق بين الحق والباطل".
- "أفضل الناس أعقل الناس".
- "يسود المرء بعقله".

- "سمهم يتبارق تحت العبارق"

العبارق جمع عبروق، والعبروق في اللغة هو كل شيء يغطي وجه المرأة ومرجعية هذا المثل منطقة الغرب الجزائري ومدينة تلمسان بالذات، وهو كذلك ما تزين به الزوجة ليلة زفافها، فلشدة حرصنا على عدم رؤية وجهها قبل الزوج تستعمل العبروق لغلظته ولكثرة طياته، ولا نتوقع أن نرى من خلاله ما نرى، لكن إذا كان السم ناقعا فقد يسطل الجدران ناهيك عن العبروق أو غيره من القماش.
ويضرب هذا المثل لدلالة وضوح وإظهار البشاشة لغرض سرقة النظر بمكره لكل الناس.

وفي مجمع الأمثال ورد المثل بمعنى :" إن وراء الأكمة ما وراءها" وهناك مناطق مجاورة تنطق المثل نفسه بصيغة مماثلة معنى مختلفة شكلا، قولهم:" سمهن يتلالا تحت براقعهن"

فهل يعني هذا أن المرأة تؤتمن؟ فهي في أثناء سلطة الرجل تلجأ إلى التمرد الخفي، وهي في أثناء ضعف الرجل تذهب علنا إلى غيره.
إن هذه الأمثال ثلاثتها تصور المرأة في طبيعتها الشيطانية وتقلع عنها ثوب التقوى والإشارة بادية لا محالة في الآية الكريمة:" قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه و إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين"[1]

[1] – سورة يوسف– الآية 33.

ويعني هذا كله أن مجمل الأمثال الشعبية التي نظرت بتمعن دقيق لصورة المرأة أجمعت في وصفها لا بإنسان مثلها مثل الرجل وإنما هي تنظر بوصفها أنثى، مما جعلها تبقى في عين الرجل مصدر الموبقات والفواحش مع العلم أن المصدرية هنا لا يمكن أن تكون فردية إذ لا بد لتوفر شرط الزنا الذي يحاول أن ينكر عن الجناية تاركا المرأة وحدها تتحمل مسؤولية هذه التهمة[1]

وكما هو واضح من دلالة مباشرة في المثل القائل:

❖ خلات رجلها ممدود ومشات تطل على محمود"[2]

إن تصورنا المكر والخداع الذين يلازمان نفسية المرأة يدفعان الرجل إلى القساوة والشدة وكم غالبا إلى الطلاق، فلننظر كيف صورها قائل المثل بكل طلاقة وعليه " نصبح المرأة فيه جانية بعدما كانت ضحية، فهي التي تتخلى عن الرجل لتذهب إلى غيره طالبة المتعة"[3]

على أن هذا المثل لا يجعل من المرأة بطلة في ساحة التحدي بقدر ما يجعلها تتشغل ضعف الذكر لتتمرد عليه فهي لم تتحرك في وقت قوته وقدرته على القيام بواجبات الأسرة وإنما تحركت للخداع والمكر لما ألم به السقم أو المرض.

وهنا فرض علينا طرح الإشكال: هل يعني هذا أن المرأة تؤتمن؟

وما تم إحضاره كعينة للتدليل والتثبيت لكل ما سبق ذكره ما ورد في الذاكرة الشعبية من الأمثال قولهم:

---

[1] – للتوسع: أنظر: مقدمات لدراسة المجتمع العربي– سلوكنا الاجتماعي وبنية العائلة في المجتمع العربي– ط2– 1975 الدار المتحدة للنشر ص 39.

[2] – قادة بوتارن– الأمثال الشعبية الجزائرية ص : 154.

[3] – قاسم أمين: تحرير المرأة– موفم للنشر– الجزائر– 1990– ص55.

❖ "النساء كيدهم ما يتنسى"

أي أنه يجب على الرجل أن يكون يقظا لا يغفل عن كيد النساء وقولهم:

❖ "ما زين النساء بضحكات لو كان فيها يدوموا"

بالفعل للدلالة على سرعة تغير وتقلب أحوالهن والمكر يغلب عليهن.

بل إن مما لا شك فيه أن المرأة كانت وما زالت موضوع إلهام الفنانين، فهي كائن ضعيف إذ هي غالبا ما تميل إلى عواطفها لتثير وتؤثر على مشاعر الرجل فهي نادرا ما تتصرف بعقلها ومنطقها[1] وهذا ما قد يدفعها إلى ارتكاب المآثم ونبذ العنف في الوسط العائلي بخاصة والمجتمع بعامة.

وما يؤكد هذا الطرح الذاكرة الشعبية وما تعرفه من رواج بين الألسنة من نقد لاذع ببرودة أعصاب تجاه المرأة ولعل أشهر الأمثال في هذا الجانب قولهم:

❖ "شمس لغيام تخرج النسا من الخيام"

❖ " إلا مديت كراعي نجيب راع"[2]

❖ " يتحزموا بالفاع ويتخللوا بالعقارب"

إن ما تشيه هذه الأمثال هو نوعية خاصة للعلاقات بين المرأة والرجل وتشير إلى ظاهرة اجتماعية عرفتها المجتمعات القديمة ولا زالت تعرفها بعض المجتمعات

[1] – قاسم أمين: تحرير المرأة– ص 55–

[2] – قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية ص 149.

الحديثة وخاصة مجتمعنا ألا وهي ظاهرة البغاء والخيانة الزوجية[1] كما يبدو واضحا في قولهم:

❖ "مشات للحمام وجابت أخبار عام"

مشات: بمعنى ذهبت

جابت: بمعنى أحضرت ما سمعت ورأت

إن قراءة هذا المثل بالمنظار العمودي توحي لنا أن المرأة إذا ذهبت إلى مكان خاص يعرف بمجمع النساء- فلا يضمن مكرها فهي تطلق العنان للسان والعينين فتتجاذب أطراف الحديث المباح وغير المباح في أعراض الناس بمعية الوسواس الخناس، فقد لا يسلم الرجل من أذى هذا الثعبان وهو ثاني اثنين أسباب النار وفيه قال المصطفى صلى الله عليه وسلم- من ضمن لي ما بين لحييه وفخديه ضمنت له الجنة"[2]

أضف إلى ما سبق ذكره أن المرأة تخفي من السيء ما تخفي فقولهم:

❖ "أنا ندير لها في الأخراص وهي تشرم"

الأخراص: جمع خرص وهي الحلقة التي توضع في الأذن أو الأنف للزينة

تشرم: بمعنى القول الفحش غضبا على الذي يزين.

ويضرب هذا المثل في الذي يبادر بالفعل الحسن مع انسان لا تضمن عواقبه وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى:

ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم

---

[1] – محمد عاطف غيث: تطبيقات في علم الاجتماع القروي- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت- د-ت ص 329.

[2] – رواه مسلم.

ونجد أيضا مثلا شعبيا يقارن الطبيعة والمرأة قولهم:

- "ما في الشتا ريح دافي، وما في النساء عهد وافي"

أي أن المرأة لا عهد لها ولا وفاء.

وأيضا قولهم:

- "إذا دخلت البير طول حبالك، وإذا دخلت التجارة طول بالك وإذا دخلت سوق النسا رد بالك"

ومعنى هذا أنك إذا نزلت داخل بئر، فلا بد من شد الحبال وضبطها بالطول حتى تتمكن من الخروج، وإذا دخلت في التجارة فيجب أن تتصف بالصبر والحلم، أما إذا تعاملت مع المرأة فيجب أن تتصف بالحذر الشديد وإلا تصل إلى مالا يحمد عقباه، لأن صانعي الأمثال الآتية الذكر خير ما نستشهد به فقيل:

- "بالك تنسى وتأمن النسا"
- "يتحزمو بالفاع ويتحللوا بالعقارب"
- "الرجال كي الكسان والنسا كي الميمان"
- "ولف النسا يخلي الديار"
- "شاور مراتك وخالفها"

ودائما في إطار التحذير من المرأة من أشهر أقوالهم:

- "ظاهر المرأة جَنّة وباطنها جهنَّم"
- " المَرْأة نار إذا غفلت تحرقك"

مضمون هذه الأمثال يتمثل في وجوب تسلّح الرّجل بالحذر والتجنّب من خبايا المرأة، فهي جميلة دعوبة ولينة تستهوي الرّجل، لكن بداخلها حيل ومكر قد يظهرها جلّيا ويؤكدها المثل القائل:

- "إلا حلفوا فيك الرّجال بات راقد وإلا حلفوا فيك النساء بات قاعد"

وكما يبدو من هذه الأحكام التي جاءت بها هذه الأمثال فإنّها لا تخلوا من المبالغة والاستبداد بالرأي والغلو في إساءة الظنّ بالمرأة ولكنّها تعكس نوعًا من الاعتقادات الموجودة عند بعض أفراد المجتمع الجزائري عامة.

فالمرأة محددة الماهية منذ بدايتها بالكائن التابع بناءً على الضعف والدونية اللذين ألصِقا بها، فهي كما يرى زيدان عبد الباقي في دراسته " المرأة بين الدين والمجتمع" يرى أنها:" ليست سوى عورة كما يصورها لهم أفقهم الضيق:

مخلوقة حقيرة على اِستعداد لبيع نفسها لأوّل عابر سبيل- **فالمرأة بدون رجل مال سائب**"[1]

[1] – زيدان عبد الباقي:" المرأة بين الدين والمجتمع" مكتبة النهضة المصرية – القاهرة- 1977 ص 96.

فالمرأة موضوع كل فن حتى أن الشعراء والفلاسفة اعتنوا كثيرا بها وجعلوا منها مثلا للؤم والغدر كأفلاطون وغيره ولعل هذا ما أثار أبا القاسم الشابي الذي انبرى مدافعا عن المرأة في قوله:

"هاته الفكرة الحائرة، التي كانت تستحوذ على أدمغة العالم العربي كله، من أن المرأة مثل الغدر واللؤم وخساسة الطبع، وحطة النفس وخبث الضمير فإن الفكر الذي يعتقد مثل هذا في المرأة لا يمكنه بحال أن يبصر ما وراء جسدها من حياة عدبة ساحرة وعالم شعري جميل"[1]

إذا فالمرأة هي رمز الحياة والتطور والحضارة وهذا ما أكده نابليون بقوله:" إن اليد التي تهز المهد هي اليد التي تهز العالم"[2]

[1] – أبو القاسم الشابي– الخيال الشعري عند العرب– الدار التونسية للنشر– د–ت–ص 75.

[2] – هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي– الطبعة الثانية – 1975 ص 112.

الفصل الثاني

السلم و أبعاده في المثل الشعبي

الفصل الثاني: السلم و أبعاده في المثل الشعبي:

أولا– معاني السلم

إن أعظم تحد يواجه الإنسان، ليس الطبيعة، بل علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وحتى يصل إلى علاقة سلمية، لا بد له أولا من الوصول إلى حالة السلام داخل نفسه، وإنها حالة الجدل الداخلية لديه من دون شك.

فالوصول إلى السلام، أعظم تحد يواجه الإنسان.

إن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أننا على اتصال وثيق بكل الاضطرابات النفسية، فلا مفر للجميع من تحصيل السيطرة على النفس ودراسة وسائل هذه السيطرة والقيام بما تقتضيه من جهود، بغية الوصول إلى الهدوء النفسي.

هذا الهدوء الذي يعد ركنا ترتكز عليه جميع الدراسات في كل تكوين نفسي صحيح، والهدوء نفسه أكبر عامل مؤثر في تحصيل التأثير على الآخرين.

نحن نأتي جميعا إلى هذه الدنيا، ولكل منا مزاج خاص، يسيطر عليه لون خاص من ألوان الهدوء أو القلق أو البرودة أو الحدة.

فالهادئون في الظاهر، قد يتعرضون لنوبات تحطم أعصابهم كلما وقعوا في مزالق حرجة أو أصيبوا بنزوات مقلقة.

إن الهدف الأسمى الذي ينبغي كل فرد من أفراد المجتمع الوصول إليه هو سعادة النفس وراحة البال، لأن السعادة هي تمام الخيرات وكمالها، وغاياتها فهي خير ما، والتمام هو الذي إذا بلغنا إليه لم نحتج معه إلى شيء آخر.

وعلماء النفس عالجوا الظاهرة بتمعن هادئ، فالغضب والنرفزة عندهم، لا فكر ورائه، تمنع الإنسان من التحكم وضبط نفسه، بل تزيد في بلبلة كيانه النفسي،

وإيلاج الفوضى في ذهنه ومجال نشاطه، إذن "يجب عليك أن تهدأ، يجب أن تقاوم الاضطرابات الخارجية بتحكيم العقل في كل ما يحدث لأن الإرادة لا تملك أن تعمل في جو صاخب، مبلل، مشوش، ولا يجديها أن تقاوم وهي فريسة المشاحنات والمنافسات والثرثرات اللاغية، فكيف نفتح الهدوء وتستقر في إطاره؟"[1].

ويواصل الباحث النفساني في مدى إيجاد حل سلمي ارتكازا على إرشادات يقدمها للإنسان قائلا "يجب أن تضع في ذهنك أن الهدوء لا يأتي من الخارج، أن تتجنب الاعتقاد بأن الاضطراب نزول فالحياة حياة كل إنسان كائن من كان، تعج بالمفاجآت، والأوجاع والنكبات والأحزان، فالمتزن الرصين يقابل هذه الأحداث بمقاومة نفسية وينزع عنها ثلاثة أرباع تأثيرها في أعصابه وتصرفاته، فهو ينتظرها من جهة بقدم ثابتة وجلد عظيم ويعدها، من الجهة الثانية معسكرا معاديا لا مفر من التوغل في صفوفه نحو أهدافه الخيره، والتغلب عليها، بأناة وروية، وإن أصيب منها بجراح وآلام"[2].

إن مما سبق ذكره يجمع في مجمله كيفية غرس شجرة التعايش السلمي، الذي يرتكز في أوله بالاتزان والهدوء والأمان، العافية، والصلح، كلها من صميم أسس السلم وما سنعرضه الآن خير دليل للتمثيل والإفصاح فما السلم إذن؟

معاني السلم: وردت كلمة "السلم" في لسان العرب بأنه يقال: السلام والسلامة: البراءة، وتسلم منه، تبرأ، وقال ابن الأعرابي: السلامة العافية والسلامة شجرة، وقوله تعالى: "إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" فمعناه تسلما وبراءة لا خير بيننا وبينكم ولا شر.

---

[1] عبد اللطيف شراره:" دائرة المعارف السيكولوجية، م1، دار صادر بيروت ص394.

[2] المرجع نفسه، ص257.

وعن سبويه قال: زعم أن ربيعة كان يقول: إذا لقيت فلانا فقل سلاما أي تسلُّما، قال: ومنهم من يقول سلام، أي أمري وأمرك المباراة والمتاركة.

وقال ابن عرفة: قالوا: سلاما أي قالوا قولا يتسلمون فيه ليس فيه تعد ولا إثم، وكانت العرب في الجاهلية يحيون بأن يقول لصاحبه أنعم صباحا، وأبيت اللعن، ويقولون: سلام عليكم فكأنه علامة المسالمة وأنه لا حرب هناك[1].

وقال الفراء: وسلم وسلام واحد، وقال الزجاج: الأول منصوب على سلموا سلاما، والثاني مرفوع على معنى أمري سلام.

وقوله عز وجل: "سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ" أي لا داء فيها ولا يستطيع الشيطان أن يصنع فيها شيئا، وقد يجوز أن يكون السلام جمع سلامة، قال أبو الهيثم.

السلامة من جميع الآفات والجوهري يرى أن : السِّلم، بالكسر: السلام، وقال:

وقفنا فقلنا: إيه سلم! فسلمت * فما كان إلا ومؤها الجواجب

والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء، حكاه ابن قتيبة: وقيل: معناه أنه سلم بما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي تفنى الخلق ولا يفنى[2].

وقوله تعالى: "إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" أي سليم من الكفر، وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل "وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ": وترى رجلا سالما لرجل، والمعنى أن من وحد الله مثله مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره، ومثل الذي أشرك الله مثل صاحب الشركاء المتشاكسين، والسلام: البراءة من العيوب.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب م12 حرف الميم، فصل السين. ص 289.

[2] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني عشر (12)، باب الميم 290.

والسلم: التسالم: التصالح والمسالمة: المصالحة وقوله عز وجل: "أدخلوا في السلم كافة"

قال الأحوص:

فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم * وأرسوا عمود الدين بعد التمايل

ومثله قول امرئ القيس بن عابس:

فلست مبدلا بالله ربا * ولا مستبدلا بالسلم دينا

ومثله قول أخي كندة:

دعوت عشيرتي للسلم لما * رأيتهم تولوا مدبرينا[1].

وإذا ما ورد بالتحديد في لسان العرب مفصلا، لنا أن نربطه بأبعاده في الأمثال الشعبية بين الاجتماعي والأخلاقي فالسلام والبراءة، والهدوء، والسكينة، والسعادة، والعافية دلالات لها وقعها الذي طالما بحث ويبحث عنه الإنسان في حياته كي يعيش في سلم، معافى، والقول فيه محمود فأين تكمن هذه الأبعاد بالتحديد؟

ثانيا- أبعاد السلم في المثل الشعبي:

1- البعد الأخلاقي:

إن أهم ميزة خص بها المخلوق البشري عن باقي المخلوقات هي ميزة السلوك الخلقي، فعد كائن خلقي مقيد بسلوك محدد يتماشى ومسامح الدين مرتبط بعادات وتقاليد صنعها المجتمع.

[1] نفسه، ص295.

وبالرغم من وجود ما يستدعي النظر والتمعن داخل المجتمع نفسه تلك الاختلافات المعتقداتية الثقافية، تبدأ بالعمق الفطري الإنساني كونه ميالا للخير وثواق للحق، تجدر الإشارة والتنويه للخصائص والمقاييس التي تستوجب تصنيف الجماعة التي تكون هذا المجتمع ناهيك عن المبادئ والمفاهيم التي تصنع فكرة السلم والمسالمة.

ومع أن الأمثال الشعبية تعددت في هذا المجال الذي يرتكز أساسا على البعد الأخلاقي، ومع أن الكثير من السجايا الخلقية تعد وليدة الظروف الحياتية والتجارب التي تنتاب بني الإنسان فإن للعقيدة الدينية دورها في تثبيت هذه السجايا، أضف إلى هذا الترابط بين القواعد الخلقية والتعاليم الدينية بشكل جلي في المجتمع الجزائر المسلم، الذي يسعى دوما لتحقيق الأمن والسلم والاطمئنان رغم التضارب الذي يبقى جدلية واقعية بين العنف و السلم، بحكم الفوارق الطبيعية بين الناس واختلاف ميولهم ورغباتهم، لهذا الغرض سنقف على أهم الميزات والأبعاد التي تحقق فكرة السلم التي كانت حاضرة في خبايا الأمثال التي عرفت وتعرف رواجا كبيرا، والمستعرض لهذا النتاج السامي يقف على الصفات الخلقية النبيلة التي امتاز بها صنف عن صنف كما امتاز العنف والصراع عن السلم والرفق. ونظرا لكثرة هذا النوع من الأمثال، سنتكفي بقدر لا يستهان به عن أبرزها مرتبطة طبعا بأهم السجايا وأبرزها لدى المجتمع الجزائري ومنها نسجل:

1- عزة النفس:

ليس من شك في أن بيت القصيد الذي يبحث عنه الإنسان في عالم يعرف تحولات بتحول المعاملات هو العيش في كنف السعادة والاستقرار،. فلا يمكن لهذا

المخلوق تحقيقها ما لم يعش معززا نفسه ومطهرها من كل سوء وأن يغسلها من الخطايا كما يغسل وينقى الثوب الأبيض من الدنس.

فالأمثال التي تعبر صدق التعبير عن هذه القيمة الخلقية تعددت بتعدد دورانها على ألسنة العامة في هذا المجتمع دون انقطاع، ومما وجدناه في هذا الباب ما يأتي ذكره:

❖ **"الدين يشد الإنسان كاللازمة تشد الحصان"**

في هذا المثل صورة دقيقة وفق صاحبها في مدى الإفصاح عن الارتباط بالدين الحنيف ارتباطا شديدا يجعل هذا الإنسان في كنف سعادة لا تقاس، وهذا الارتباط يقاس بصورة "اللازمة" أي مكان ربط الحصان كي لا يذهب إلى حيث لا يحمد عقباه.

فالإنسان إذا ارتبط بما أقره الدين من مسامح عدة تحقق له السلم والأمن، فالحصان هذا الحيوان الأليف الذي يعانق الإنسان ليخفف عنه عبئ الحياة البدوية، إذا شد رباطه في مكان فهو في أمن ومأمن من المخاطر المرتقبة.

أضف إلى هذا عينة من الأمثال التي يتداولها بنو الإنسان التي تشي مفهوم العزة والألفة قولهم:

❖ "الطير الحر يشكر مباته"

❖ "الطير الحر إذا أخطى يسمى فايت"[1]

❖ "يشكر السوق من ربح فيه"

إننا نلمس هذه الخاصية في الإنسان بشرط دقة التفكير وعدم التسرع، والقلق وما يؤول إلى نبذ العنف والصراع، فالطائر الحر من وفق في صيده وجلب

[1] فايت: في اللغة العربية، عابر، أي يواصل طيرانه عادي

وتحقيق قوت صغاره، فيعود لا محالة بدون تأسف وحسرة، مثله مثل الإنسان الذي دوما يبحث عن تحقيق ما يصبو إليه دون عراقيل فما إن يحقق هذا، يعش سالما والقول فيه محمود، فتراه يشكر وضعيته بشكر خالقه.

ولعل قول الإمام الشافعي يبسط ما وجب تبسيطه في الاعتزاز بالنفس والافتخار بها في قوله:

إذا المشكلات تصدين لي * كـشفت حقائقها للنظر

ولكنني مدره[1] الأصغرين[2] * جلاب خير وفراج شر[3].

2- الحلم والرفق:

بالرجوع إلى القواعد الخلقية التي جاءت في تعاليم الدين الإسلامي نجد الجذور الأصلية لمضمون بعض الأمثال التي تحبب بل تفصح عن أولئك الذين يحرصون على تحقيق الصفح والسلم برفق وتواضع فيحققون أغنى وأعلى جوهر فيعرفون بالذكر الحسن والرجال العظماء يذكرون عبر مسار التاريخ بحاضر أفعالهم وأمجاد ماضيهم، وما يحضرنا من أمثال ما يتداول على ألسنتهم قولهم:

❖ **"الدنيا سقيفة والآخرة دار"**

بقراءة متأنية لما تفسره ألفاظ هذا النتاج بقصر طولها، تأخذ بعدا عميقا ينتاب نفسية الإنسان فالذي يقف على المعنى الحقيقي للدنيا يجدها عابرة، والآخرة خالدة، فمبدع المثل حقق هدوءا لصنف من البشر تطاولت خطاياهم فالعودة لتحقيق الحلم والرفق تبدأ من هذا المثل لا ريب. فنجد من هذه الأمثال التي تحقق هذا البعد الأسمى ذكرهم:

---

[1] مدره المدره، المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال.

[2] الأصغران: القلب واللسان

[3] أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الديوان، ص9.

- "القلب الأبيض يأكل القلب الأكحل".
- "اللي ما عنده قلب يموت سمين".
- "الهنا يضمن الغنا".

إن سعادة المرء بالنظر العميق لهذه العينة التي تجعله من المولعين بالحسن والأحسن، وكم تعددت أمثال عربية في المعنى نفسه كقولهم:

- "كاد الحليم أن يكون نبيا"[1]
- "إن الله رفيق يحب الرفق"[2]
- "ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم"[3]
- "الرفق رأس الحكمة"
- "الرفق في الأمور كالمسك في العطور"
- "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"[4]
- "ثمرة الحلم السلامة"

3- العفو عند المقدرة:

إن ما لا جدال فيه، أن الله عز وجل جعل العفو عن عباده علم يتعالى فوق كل الرؤوس لمن أراد تحقيق الاتزان والاعتدال، فالله الخالق البارئ عفو يحب العفو.

---

[1] مختار الأحاديث.110

[2] صحيح البخاري، رقم 6415، صحيح مسلم رقم 4697، سنن الترميذي، رقم: 1629

[3] سنن الدارمي، رقم 574.

[4] أنظر: صحيح البخاري، رقم 5565، صحيح مسلم، رقم 4027، سنن الترميذي رقم، 2625، مسند أحمد رقم22961.

إن العفو عن الناس ومداراتهم وقاية من كل شر دبروه، وسطروه، ومن الأمثال ما ورد في هذا الباب قولهم كحكم قياسي عرف رواجا في كل أنحاء المجتمع الجزائري:

❖ **"الوافي ما يعافي"**

يعني هذا المثل مقياس ثابت وحقيقة لا جدال فيها، أن الله الوافي لا يلحق بعباده ضرر إلا من أبى واستكبر.

❖ **"صاحبك لكان أعور، شوفه من العين الصحيحة"**

يبثي هذا المثل مداراة الصديق رغم العيوب التي تحملها نفسيته، فإذا كان صديقك اعورا، فانظر إلى عينه السليمة والمقصود انه يستوجب عليك أن تحاسب صديقك على كل صغيرة وكبيرة من جانب، وأن تتسامح وتعفو عنه وتتجاوز ما وقع منه من زلل لأنك في هذه الحالة قد تجد نفسك بدون أصدقاء، ويتماشى هذا المثل قول بشار بن برد الشاعر العباسي:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا * صديقك لن تلق الذي تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه * مفارق ذنب تارة ومجانبه.

أما الشافعي، فيرى نفس الوقع في أبيات يعرضها ليقول:

لما عفوت ولم أحقد على أحد * أرحـــت نفسي من هم العداوات

إني أحيي عدوي عند رؤيتـــه * لأدفع الـــشر عنـــي بالتحيـــات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه * كما إن قد حشا قلبـــي محبـــات

الناس داء ودواء الناس قربهم * وفي اعتزالهم قطع المودات[1]

[1] أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (150هـ-204هـ) الديوان – ص38.

وثمة من الأمثال تجول الأوساط الشعبية بمعنى واحد وتعدد اللهجة، قولهم:

- "لا تأكل خوك فرسة، لا تعقب عليه جيعان"
- "إذا قطعت الدبرة تبرا"
- "اللي جاءت من يد الحبيب تفاحة".

إنها نصائح وإرشادات حملتها كلمات لغرض معاشرة من هم حولك والعفو عند المقدرة كي تعش سالما والذكر الحسن فيك موعود.

4- الصبر:

إن التحلي بخصال العزة ومداراة الأشرار وتجنب الخوض في عيوب الناس ومقابلة طبائعهم الفاسدة يستوجب منا خاصية الصبر، أليس الصبر من عزم الأمور.

كلمة تعرف من سهولة نطقها دقة بعدها. إننا نجد من الأمثال الشعبية الجزائرية الكثير منها يشيد بصفة الصبر، ويمدح الصابر ويعده بأحسن العواقب ويمنيه بالجزاء الحسن ليعيش في غضون السلم بلا منازع.

وتداول أفراد هذا المجتمع لهذه الميزة دليل قاطع على تشبتهم واتصافهم بهذه السجية الخلقية التي زكتها تعاليم الدين العالية وحثت الجميع دون تمييز بالبحث عنها والتحلي بها.

ومن أمثال الصبر التي عرفت وتعرف إلى حد الساعة رواجا قولهم:

- "الله معاك والصبر دواك"
- "بالرزانة يتباع الصوف"
- "اللي ما صبر لخوه يصبر لعدوه"
- "الصابر ينال"

❖ "الصبر مفتاح الجنة".

إننا نلمس التأني والرزانة من وقع هذه الأمثال وحدوها اتجاه الصبر عند مواجهة الصعاب، وهي كما وردت متفق عليها بين عامة الناس، تعد الصابرين بحسن الخاتمة وجزائها في الدنيا والآخرة.

وما يستوقفنا كباحثين عند هذه الخصلة أنها ليست بالغريبة ولا مبهمة ولا بدعة عند الجزائريين، فتحليهم بها يعود إلى عوامل جغرافية تتمثل في قساوة الطبيعة وجدبها في المناطق الصحراوية والجبلية، وعوامل دينية تتمثل في الاعتقاد بجزاء الصابرين، في السراء والضراء في اليوم الآخر، وعوامل تاريخية تتمثل في ألوان العذاب والشقاء التي تلقاها أفراد المجتمع الجزائري من شظف العيش واستغلال فاحش على أيدي قوات الاحتلال الفرنسي، وقد تكاملت هذه العوامل مجتمعة لتكريس سمة الصبر في الشخصية الجزائرية[1].

و ما انتقيناه من الأمثال العربية المتفق عليها، ضاربة معانيها في جدور أبعاد هذه الخاصية منذ خلق البشر فنجد منها :

❖ "الصـــبـــر ضـــــــــــيـــاء"[2]

❖ "من صـــبـــر ظفر"

❖ "النصر مع الصـــبـــر"

❖ "الصـــبـــر نصف الإيمان"

❖ "و لا إيمان كالحياء و الصـــبـــر"

[1] أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، ص:399.

[2]– رواه مسلم

و إثباتا لما جسدته ألفاظ الأمثال عامية كانت أو عربية، و كأن قائليها غرفوا المعنى من محكم تنزيله -عز و جل- :

﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]

5- الوفاء:

تعد صفة الوفاء من الشيم الخلقية البارزة والتي يتصدرها نوع الرجال الذين ورثوها أبا عن جد ووقفوا حق الوقفة على ما تشيه من تحقيق الآمان والاتزان وتبعدهم كل البعد عن الرذائل ومعاني الحرمان، فأفراد هذا المجتمع يحرصون كل الحرص على الاتصاف بها، وما يؤكده تداولها من خلال الأمثال، فمنها ما تثني على الأوفياء السعداء، ومنها ما تهجو الذين لا يوفون بعهودهم فعدتهم أشقياء:

- "اللي يقول الكلمة يوفيها وإلا يموت فيها"[2]
- "اللي خرجت من الفم تسمى دين"

وبالرجوع إلى القواعد الخلقية التي جاء بها القرآن الكريم قوله عز وجل: "وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا"[3].

والمقصود إذن أن كل التزام أو تعهد يتخذ ولو كان مشافهة صبغة الأداء كما لو كان دينا، إذ من وقع الوفاء يعد التعهد دينا على عنق المتعهد ولا يسقط عليه إلا بأدائه ومنه يستوجب على بني البشر إلاّ يلتزم بدون رؤية وتفكير.

وما نجده أيضا من الأمثال التي تحث على خاصية الوفاء ما يلي:

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 186.

[2] محمد دالي يوسف، ألف كلمة وكلمة من كلام الوالدين، مخطوط، سنة 1974، ص356.

[3] سورة الإسراء آية 34.

- "صديقك من وافقك، لا من خالفك"
- "الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق"
- "وعد الكريم دين"
- "وعد الصادق، أحسن من وعد الوارق"
- "بالوفاء يدوم الإخاء".

إن هذه العينة من الأمثال العربية وما تشيه من معنى يتفق وما يعرف رواجا من أخرى بألفاظ عامية يسهل تداولها وسيرورتها تداولا جيلا بعد جيل، فكلها وجدناها تحث على ضرورة التزام الإنسان بتنفيذ ما يتعهد به لغيره حتى لو كان ذلك بكيفية شفوية، إذ من باب الوفاء يعد التعهد دينا في عنق المتعهد لا يسقط عليه إلا بأدائه، فيسلم من كل قول يلحق به أذى وضرر.

6- الكرم

بصدر رحب وبلا منازع فضل الشعب الجزائري أن يرحب بمن سأل، وأن يكرم من امتثل، وان يكون سخيا في كل ما يفعل، هي عادات متأصلة تكملها حفلة الكرم التي يمتاز بها عن باقي الشعوب المجاورة.

وما الأمثال السائرة في هذا الباب إلا خير دليل لما قيل ووضع كحقيقة تبقى سائرة المفعول كونها متوارثة جيلا بعد جيل، "لأن الله جواد يحب الجواد"[1].

- **"الجود بعد العرب بدعة"**[2].

---

[1] سنن الترميذي، رقم 2723.

[2]- [3] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية ص: 110.

إن الكرم عندهم لا يقترن بالغنى دائما، فالثراء ليس شرطا ضروريا لكي يكون الشخص جوادا، وهذا ما سجله المثل بألفاظ سهلة متناولة بكل طلاقة، جسدها مثل آخر يقول: "الجود من الموجود"[1].

ومعناه أن الكريم يجود بما تيسر له، ووجد عنه، أي من الموجود، وخير كلمة تعرف دورانا هي المثل الشعبي الذي يعرف سيرورة في الغرب الجزائري قولهم:

- "خير الأكل ما حضر، وخير اللباس ما ستر، وخير الأسماء ما حمد وعبد"[2].

والكرم لا محالة حسن استقبال للضيوف، ليس ما يقدم لهم فإن كان الاستقبال يحفو بابتسامة فعالة تنسي ما سيقدم لهذا الضيف كونه مرتاح نفسيا، وفي هذا الجانب نجد من الأمثال ما تجول على ألسنتهم: الكرم فطنة واللؤم تغافل"[3] والمثل قياسي كما نددوا به: "بيا عبستك ما بياش خبزتك".

وأخرى تصف الكرماء وتمجد عظمتهم بقولهم:

- "الكريم ربي كرمه"
- "الكريم باحبابه، والبخيل بعيد"
- "الكريم حبيب الله"
- "الضيف ما يتشرط، ومول الدار ما يفرط"

[2] متداول بكثرة في الغرب الجزائري تلمسان خاصة.

[3] الخوارزمي الأمثال تحقيق: محمد حسين الأعرجي، ص158.

7- القناعة:

هي من الصفات الخلقية التي تروح إليها الأمثال الشعبية الجزائرية، وتشجع على التحلي والاتصاف بها بوجه عام، فهي صفة تدعو تعاليمها إلى التعفف والزهد في متاع الحياة الدنيا عن قناعة.

أليست القناعة كنز لا يفنى؟

إن الجانب الديني يعد عاملا أساسيا ساهم في زرع هذه الخصلة في نفوس أفراد مجتمعنا فقد يكون للظروف الاجتماعية الأليمة التي عايشها تحت قهر الاستعمار الفرنسي دخل في رواج هذه الصفة وتعميقها بين ذويهم، فكم هي معاناة عاشها أبناؤنا البررة بصبر وجلد وكانوا يقنعون بالقليل في انتظار ساعة الفرج والإخلاص مما هم فيه وملا قوه.

ومن جملة الأمثال التي دلت دلالة واضحة على وجود هذه الخصلة لدى أفراد مجتمعنا نجد قولهم:

- "البركة في القليل"
- "خذ ما أعطاك ربي"
- "قلة الماء ولا مغيضة الحال"[1]
- " لا يذهب العرف بين الله والناس"

أن ما تشيه هذه العينة من الأمثال هو الاكتفاء بالقليل وشكر الخالق بالقناعة، والبركة فيه، وأن الفقر ليس عيبا، ولا نجد من يشتكي منه إلا الشخص

[1] أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية، ص369-370.

اللقيط الذي لا أصل ومنبت له، فالفقر والغنى من عند الله "عزّ وجلّ"، كما أن القناعة بالرزق القليل قد تكون سببا في تحقيق سعادة النفس والعيش في سلام ومأمن، واللهاث وراء المال والغنى قد يكون سببا في جلب القلق والشقاء اللذان يلحقان الضرر والأذى بمقترفهما، وهناك من الأمثال التي تعرف ذيوعا في أوساط مجتمعنا توضح الصورة في قولهم:

❖ "ألبس ما ستر، وكل ما حضر".

وأضف إلى ما سبق، أن الإنسان يقنع بالقليل لكسب الكثير من السعادة حتى في السكن، فكأن يقنع بسكن متواضع يأويه ويأوي أفراد عائلته بالحلال والقناعة خير من أن يتسرع في ارتكاب الآثام ولغرض تحقيق سكن مكتمل الجوانب، وفي هذا الجانب أيضا ثمة قولهم "قليل في الجيب خير من الكثير في الغيب".

هي صورة بالغة التصوير للمعنى الحقيقي لصفة القناعة لا ريب فيها وكذا قولهم: "الشعير والراحة، ولا القمح والفضاحة".

ولعل ما جاء به الشافعي دليل يضاف للتدليل والاستشهاد فهو من قال:

تموت الأسدُ في الغابات جوعا * ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينـــام علـــى حريـــر * وذو نسب مفارشه التراب[1]

ويعود فيفصح ثانية في الغنى والقناعة قائلا:

رأيت القناعة رأس الغنـــى * فصرت بأذيالهـــا متمســـك

فلا ذا يراني علـــى بابـــه * ولا ذا يراني بـــه منهمـــك

[1] أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي: ديوان الشافعي: ص20.

فصرت غنيـــا بلا درهـــم * أمر على الناس شبه الملك[1]

وإذا ما أردنا أن نعد ونحصي ما قيل من الأمثال في هذا الباب وجدناها كثيرة متداولة متفق عليها جملة وتفصيلا فلا بأس أن نضيف بعضا منها وما القصد من ذكرها سوى دليل على رواجها، هدفها الوعظ والإرشاد واقتناء الأحسن شكلا ومضمونا، فنجد منها:

- "خذ ما أعطاك الله"
- "الذي قنع، شبع"
- "لن يهلك امرؤ عرف قدره"
- "خير الغنى القناعة"

إذن مجموعة الأمثال تصب في واد القناعة، فالفقر والغنى من الله سبحانه وتعالى، ويقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى".

وما يستوقفنا والأمثال المذكورة أن مضمونها يوافق لا محالة المبدأ الأساسي للأخلاق عند "الأبيفورية" حيث يقول "ابيقورس" رائد هذا المذهب: "العاقل الحكيم من عاش بالقليل واكتفى بالضروري واحتقر ما عدا ذلك، فالحكيم عندما يشعر بالحاجة يظل قادرا على أن يعطي أكثر مما يأخذ لأن له كنزا وهذا الكنز هو أنه يستطيع أن يجد في نفسه الكفاية"[2].

[2] حنا فخوري: تاريخ الفلسفة العربية، بدران للطباعة والنشر، بيروت د- ت- ص 66.

8- الصداقة:

ليس من شك في أن أسمى العلاقات الإنسانية تحدثها الصداقة، فمنذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، كونه كائن اجتماعي بالطبع، لا حركية له وفائدة إن عاش منعزلا على المجتمع الذي ينتمي إليه، فالعزلة هي الموت الأكيد، فلا أحد يستطيع أن يعيش منعزلا عن الآخرين، فالصداقة إذن من الطبائع البشرية، فالأمثال الشعبية التي سيقت في هذا الباب، تشي من جهة التذمر من جميع الناس، ومن جهة ثانية ندرة الأصدقاء الحقيقيين، ومن جهة أخرى خيبة الظن في الناس. وما وجدناه يدعو إلى الحذر في اختيار الأصدقاء لتحقيق السلم والأمن والاستقرار النفسي قولهم:

- "ما تضرب حتى تقرب، وما تصحب حتى تجرب".

إن المثل تصوير لحالة الشخص قبل اختيار صديق له في الحياة، فلا يجب أن تصاحب كل من هب ودب، بل نختار الصديق بعد مداراته ومعاشرته فترة معينة، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب: "صديق السوء كنافخ الكير، بينما صديق الخير كحامل المسك".

ونجد قولهم:

- "حبيبك من شاركك في الأفراح والأقراح".

فالصديق الحقيقي من يواسيك وقت الشدة وساعة الفرح بلا عثرات فتكشف نواياه بعد معاملته لك الدائمة.

وكذا قولهم:

- "المحبة بحك الضروس ماشي بحب الرؤوس"
- "خوك من واتاك ما هوش من ولاك"

❖ "عند الشدة والضيق يظهر العدو من الصديق"

فخير الأصحاب ما يواسيك لتحقيق مسعى العيش في كنف السلم كله.

ونجد الشافعي يشاطر رأي مبدعي هذه الأمثال ليقول:

أحب من الإخوان كل مواتي * وكل غضيض الطرف عن عثراتي

يوافقني في كل أمر أريده * ويحفظني حيا وبعد مماتي[1]

وفي المقابل نجد من هذه الأمثال ما يدعو إلى تجنب صحبة الأشرار، فنجد قولهم:

❖ "واش يجيب النخل للدوم الزحاف".

❖ "العدو ما يولي صديق والنخالة ما تولي دقيق".

أي أن العدو من المحال أن يكون لك صديقا، شأنه شأن ما تنتقيه المرأة بعد غربلة الدقيق من بقايا، تقدم كلا للماشية والدواجن، فمن المحال أن يصبح دقيقا، حتى وإن تغيرت معاملته، فهي طريقة نفاق، فهي نزوة عابرة وقولهم:

❖ "اللي جرح القلب ودماه واش من عين تلقاه"

بالفعل، فمن يسئ إلى مشاعر الآخرين، يفقدهم إلى الأبد وفي هذا الجانب نرى ما تحمله أبيات الشافعي من معنى موافق لما سبق ذكره جملة وتفصيلا قائلا:

إني صحبت الناس مالهم عدد * وكنت أحسب أني قد ملأت يدي

لما بلوت أخلائي وجدتهم * كالدهر في الغدر لم يبقوا على أحد

إن غبت عنهم فشر الناس يشتمني * وإن مرضت فخير الناس لم يعد

وإن رأوني بخير ساءهم فرحي * وإن رأوني بشر سرهم نكدي[2]

---

[1] الشافعي، ص36.

[2] أبو عبد الله محمد بن ادريس، ديوان الشافعي، ص 33,34

ثم ينتقل ليفصح عن خيبة الظن في كثير من الناس قوله:

ولـــما أتـــيت الناس أطلب عندهم * أخـــا ثـــقـــة عنـــد ابتلاء الشـــدائد

تـــعلـــمت في دهري رخاء وشدة * وناديت في الأحياء هل من مساعد؟

فلم أر فـــيـــما ساءني غير شامت * ولـــم أر فيـــما ســـرني غير حاسد[1].

ولعل ما ذكر بالتفصيل مرده عدم مداراة أصحاب الخير من الأصدقاء، وسببها الأول مخالطة الأشرار عن سريرة طيبة، فيتضح عدوك ولو بعد حين، ومن الأمثال التي تنهيك عن مصاحبة ومخالطة من لا تعرف عنهم سوى المظهر الخارجي قولهم:

- "صاحب الأسعد تسعد، صاحب الأجرب تجرب"
- "أكثر من الصديق فإنك على العدو قادر"

بل إن مصاحبة أصدقاء السوء تنتهي بالتهلكة لأن من عاشر قوما أصبح مثلهم والطيور كما يقال على أشكالها تقع ويوافق هذا المثل في المعنى المثل الذي يقول: "قولي مع من تتمشى، نقول لك شكون أنت"

أي أفصح قولا مع من تصطحب، أقل لك من أنت أصالح أم طالح.

ومن الأمثال العربية التي تثبت صحة هذه الأمثال شكلا ومضمونا قيلت في زمان بعيد ومازالت محط أنظار المولعين بجماليات الأدب الشعبي ومن الأمثال بخاصة قولهم:

- "الوحدة خير من جليس السوء"[2]

---

[1] أبو عبد الله محمد بن ادريس، ديوان الشافعي، ص 33,34

[2] ينسب إلى عبد الله بن الزبير أنظر الميداني-2- 366-رقم 4372.

- "المؤمن: الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم"[1].
- "الحب كامن في الفؤاد كالنار في الزناد"
- "من أحب أقواما على أعمالهم، حشر في زمرتهم"
- "شرط المعاشرة ترك المعاسرة"
- "لا يحبك من يحب عدوك".

9- التعاون

إن التعاون قيمة أخلاقية، طالما تحرص الأمثال الشعبية على سبر أغوارها في نفوس هذا النشء الذي يعيش في غضون مجتمع يعرف تحولات ونكبات بين الفينة، والأخرى، فالتعاون الحقيقي الذي مآله تحقيق الاتزان والراحة اللذين بدورهما يصنعان الوجه الحقيقي للسلم والعيش في كنفه.

كم هي كثيرة الأمثال الشعبية التي تتعالى فوق رؤوس البشر محلقة تبحث عن كل من هو في غبن من أمره ويبحث عن مخرج في هذا الباب ليعول أو يحول رأيه، ومن جملة الأمثال التي تدعو إلى التعاون وتحث عليه قولهم:

- "اللي ما يعاون خوه في الضيق، ما يصيب في الشدة رفيق"
- "يد وحدة ما تصفق"
- "الهم بالمتعاونة".
- "السلطان بالتاج ويحتاج"

والملاحظ من هذه العينة من الأمثال، أنها تدعو كاملة إلى السعي بخطا سريعة منتظمة إلى مديد العون حتى يحقق السلم النفسي وراحة البال، لأن التعاون

[1] سنن الترميذي، رقم 2431، مسند أحمد رقم 4780، سنن بن ماجة، رقم 4022.

أغلبه يجلب المحبة والخير بين الناس أجمعين مصداقا لقوله:"إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"

فمن الناس في هذا المجتمع من يستدعي عونا ولو بكلمة طيبة تكون له عونا وسندا لبلوغ ما يسعاه من خير، فالكلام الحلو يدفع دية كما قيل.

وكذا قولهم:

❖ "المعاونة تغلب السبع".

أي أن قوة وشدة ضخامة المشاكل تحل بفضل التعاون بين البشر، حتى تصبح الغلظة ليونة، والقساوة رفقا. فرحم من ترك المثل الذي يعرف قياسا وحكما قوله:

❖ "لكل شيء زكاة وزكاة الجاه إعانة الضعفاء".

2- البعد الاجتماعي في المثل الشعبي:

ليس من شك في أن الأمثال الشعبية تخفي بين طياتها دلالات وأبعاد عميقة تفهم بعد قراءة أولية لتعرض لقراءة ثانية منها نصل إلى هذا البعد الحقيقي، ونحن نبحث عن هذه الأبعاد التي تبقى مرتبطة كل الارتباط بوظائف تربوية تؤديها هذه الأمثال، وهذه الأهمية نابعة من كون المثل عملة رائجة في الحياة الاجتماعية اليومية ومكانته تبقى محترمة لدى أفراد هذا المجتمع باعتباره صوت الشعب ومستودع قيمه ومعاييره التي ساهمت تجارب الأولين في رصدها وإخراجها على هذه الشاكلة.

نظرا لاتساع مجال البعد الاجتماعي الذي تولجه الأمثال الشعبية، سيقع التركيز في البداية على عينة ترتبط بشؤون الحياة الأسرية، كون الأسرة خلية

أساسية في المجتمع، والمنبع الأساسي أيضا لجل التأثيرات التربوية السارية في الحياة الاجتماعية سلبا أو إيجابيا.

وسعينا حصر الموضوع والتحكم في معالجته، كون التداخل الناتج عن المعاني المتعددة التي يحملها الكثير من الأمثال، مما يجعل المثل الواحد صالحا للتدليل به في مواقف مختلفة.

إن أهمية البعد الاجتماعي يكمن في الوظيفة التربوية التي تكمن بدورها في إرساء قواعد القيم الاجتماعية، ومن ثم المحافظة عليها والمساهمة في نشرها بين طبقات المجتمع، فهو بذلك سياج من القيم يضربه المجتمع من حوله ليحمي نفسه وعاداته وتقاليده وشخصيته المتميزة.

ومن هنا يأخذ المثل بعدا آخر يتعلق بالتشريع الاجتماعي، ولئن أخذ المثل دور الناصح الذي يدعو إلى ما ينبغي أن يسود ويشير إلى ما ينبغي أن يزول، فإنه قد فرض الشروط، واستن اللوائح والقوانين التي تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض من ناحية، وبينهم وبين أولياء أمورهم من ناحية ثانية، وبينهم وبين خالقهم من ناحية ثالثة..... ولئن كانت التشريعات القانونية اتخذت مصدرا رسميا لتنظيم العلاقات الإنسانية، فإن الأمثال بدورها قد اتخذت مصدرا لتشريع العادات الشعبية وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية "[1].

ونحن نبحث في هذا المصدر التشريعي الشعبي المدون في الأمثال الشعبية الجزائرية، وتحديدا ذلك الجانب منه الذي يخص الشؤون الأسرية، وجدناه زاخرا بالقيم والتقاليد التي تضبط العلاقات، وتبين حقوق وواجبات كل طرق، وذلك بدءا من مرحلة اختيار شريك الحياة الزوجية إلى العلاقات بين الزوجين إلى إنجاب

[1] أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية ص 345.

الأطفال ومسؤولية تربيتهم، إضافة إلى علاقة الأبناء بالأباء، والهدف الأسمى منها كيف يحققون سعادة الحياة في غضون السلم والهدوء البالغين.

فأهمية الأسرة ودورها الأساسي في بناء مجتمع صالح، سليم من التوترات التي تثير ضجة عارمة تغدو به إلى ما لا يحمد عقباه، جعل الاهتمام الشعبي منصبا عليها، فواكب المثل مراحل تكوينها بوضع قواعد تنظم أطوار ومراحل نشأتها ونقائها من أسباب التشتت والضياع.

1-الأسرة في الأمثال:

عرفت الأسرة تطورا كبيرا في ضبط مفهومها وتحديده بين عصر وآخر عبر مسار التاريخ، ففي الفكر اليوناني القديم نجد "أفلاطون" يقرر في كتابه "الجمهورية" في إطار تخطيطه لقيام مجتمع مثالي أنها ملك الدولة فهو يلغي الأسرة ويعتبرها عاملا معرقلا لقيام الحكم بواجبهم نحو المجتمع وهكذا الشأن بالنسبة للأطفال.

أما "أرسطو" فينظر إليها بنظرة واقعية الذي تخالف نظرة "أفلاطون" فهو يعتبرها الخلية الأساسية والضرورية في المجتمع وعنده تتكون من الآباء والأطفال والعبيد ويرتبط كل عضو فيها بوظيفة معينة.

أما الإسلام فإنه ينظر إلى الأسرة نظرة تقدير وتقديس، وبما أنها ترتكز أساسا على فكرة الزواج، فالإسلام يعتبره نصف الدين ويخص عليه مصداقا لقوله عزّ وجلّ :﴿ وأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1].

[1] سورة النور الآية 32.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[1].

والزواج في الإسلام هو واجب اجتماعي من وجهة المجتمع للمحافظة على النوع الإنساني وسكن نفساني من وجهة الفرد وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء.

كما أن الزواج في الإسلام عهد وميثاق بين الزوجين، قال الله تعالى: ﴿وأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2]. فهذه الآية الكريمة دلالة على أن الزواج هو عهد بين الرجل والمرأة، يلتزم كل منهما بموجبه واجبات نحو الآخر ولهذا التعبير "ميثاقا غليظا" قيمته في الإيحاء بمعاني الحفظ والمودة والرأفة، زيادة على أنه تشجيع من الإسلام.

وما تجدر الإشارة والتنويه فيه هو أنها حقائق علمية ثابتة شرعها الخالق البارئ، بل ما زادنا ولوعا بالنظر فيها بتمعن ثان عندما وجدنا أن الأمثال سجلتها في كثير من المناسبات، حيث يعد المثل الشعبي من أروج فنون التعبير الشعبية بين أواسط.

المجتمعات الجزائرية الصغرى ليصبح عاما نظرا لسهولة تداوله ولأنه يتغلغل في نسيج العلاقات الاجتماعية حاملا الكثير من القيم الاجتماعية، فقد عبر المثل الشعبي عن موضوع الأسرة احسن تعبير ووصف.

---

[1] رواه البخاري وسلم.

[2] سورة النساء الآية:21.

إن ما نخلص إليه هو أن التنشئة الاجتماعية تبدأ من العائلة فهي التي تكون شخصية الفرد، وخاصة الأم، التي تعد النواة المحورية للأسرة وهذا ما جعل أكثر الأمثال الشعبية في المجتمع الجزائري تدور حول دور الأم في تربية بناتها بخاصة وأبنائها بعامة.

ولعل من أشهر الأمثال التي تصب في هذا الاتجاه قولهم:

- "المرأة الصالحة تنجب الذرية الفالحة"
- "أقلب القدرة على فمها تشبه البنت أمها"
- "إذا ما ربتك أمك ما رباك أناس"

فالمرأة لا يكتمل دورها الاجتماعي إلا إذا أنجبت، ويتبع هذا الإنجاب حسن التربية لأنها المسؤولة عن هذه المهمة النبيلة، أيضا أن صفات المرأة وسلوكها تنعكس على شخصية الطفل فإذا صلحت صلح معها، وإذا ساءت ساء معها.

وهذا ما نلمسه في المثل الثاني فثمة مقابلة بين المرأة والقدرة، وقد تكون هذه المقابلة عدة تأويلات منها:

- إذا أهملت تربية الفتاة، فلا بد أنها ستجلب العار وهذا ما يشبه – إلى حد ما– إهمال القدر دون غسيل مما يجعل السواد يغطيها.

أضف إلى هذا أن هناك تشابه بين "المرأة والقدرة" جاء انطلاقا من أن غسل الأواني هو من اختصاص الأم عادة وعليه فكل ما تعلق بنظافة أو وساخة الأواني المنزلية يبقى من تخصص وشغل المرأة.

وما نستخلصه من هذه الأمثال ثلاثتها، أن القدوة تلعب دورا هاما ومهما في تنمية الشخصية القوية للبنت وفي تربية سلوكها وفق التوقعات السائدة لدى أفراد

المجتمع عامة والأم خاصة[1]، فهي ولوعة بالتقليد لأمها والاقتداء بها ومحاكاتها في كل تصرفاتها. وعليه فإن بذرة القيم التربوية السائدة في عائلة ما، هي مجموع التقاليد والعادات التي نقلتها العائلة عن طريق التنشئة من جيل إلى جيل.

ومعنى هذا أن التنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية عرضا، أي في الجيل الواحد وطولا، أي بتتابع الأجيال[2]... لنصل من هذا كله إلى أن مكانة الأم في تربية بنتها هي مكانة أساسية في حين يبقى دور الأب هامشيا وقد يكون دوره أساسيا في تربية الولد، مما يدل دلالة واضحة على أن العائلة في المجتمع الجزائري بعامة تقسم مهمة تربية الأطفال تقسيما يتماشى مع ما يعرف: بالعائلة الأبوية والعائلة الأموية.

وما يبين أن للأب دور في تربية الولد ما جاء في ألفاظ المثل الشعبي التالي:

❖ **"من أعرف أباه، ما يخوفني ابنه".**

فمضمون هذا المثل هو أن الأب هو الذي يتولّى تربية الولد وقد ينشأ – عادة– على أخلاق أبيه، فتحدث عملية التأثير ويصبح الولد صورة تعكس سلوك وأعمال أبيه.

"إن التنشئة الاجتماعية عملية لا تقتصر فقط على تكييف الفرد مع المعايير الاجتماعية، بل هي من جهة عملية مواصلة ليغير به مدى الحياة بهدف الإدماج الاجتماعي النسبي والمستمر للفرد، ومن جهة أخرى وسيلة لتسريب المعايير

[1] قاسم أمين: تحرير المرأة، ص44/41.

[2] تركي رابح: مجلة الثقافة، الجزائر 1980، ص 80.

والقيم والتمثلات الاجتماعية، إنها تكييف نسبي للفرد في سياق إطار حياته الفردية والجماعية"[1].

إذا فإنه من دواعي القيم الناجحة متابعة سلوك الطفل فيجب أن تكون يومية، بغرس القيم المرغوب فيها والحد من القيم غير المرغوب فيها، والتوجيه يكون بالتخويف والترهيب وليس بالعقاب المضر انطلاقا من الأمثال الشعبية المتعارف دورانها على ألسنة الكثير من الناس كقولهم :

- ❖ "من عق أباه عقه ولده "
- ❖ "من سعادة المرء أن يشبه أباه"
- ❖ "ولد الشّريف أعلى بالشّرف، والدّرّ أعلى من الصّدف".

ومضمون هذه الأمثال حسن اختيار طرق التربية التي تنتمي بتعداد شخصية سليمة مسالمة تحمد تصرفاتها لأن شخصية الطفل تنمو بالتدريج تترعرع مع مرور الزمن وفق معايير ثقافية سائدة في مجتمعه.

ولعل، ما يبين هذا الطرح بصورة أقرب للتمعن تلك الأمثال التي عبرت عن علاقات متشابكة لأنها تتأثر بنوعية الابن وتربيته وموقفه من الأسرة ومستواها اجتماعيا، ويجدر بنا أن نشير إلى أن الأمثال الشعبية أكدت على أهمية وجود الأبناء في الأسرة وربما كان ذلك تأثيرا بالقرآن الكريم الذي يشجع الإنجاب ويعتبر الأبناء زينة الحياة الدنيا. فمن هذه الأمثال قولهم:

- ❖ "لا خير في أب ألقاك في لهب"[2]
- ❖ "الدار بلا صغار كالدنيا بلا نوار"

---

[1] هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع البشري، الأهمية للنشر والتوزيع بيروت، ط3,1980، ص75.

[2] الميداني ، ج2، 259 وروايته "لا خير في أرب ألقاك في لهب"

فالمثلين يبينان أهمية الأبناء في حياة والدهم فهم في صغرهم يملئون البيت فرحا ومرحا لأنهم بمثابة الأزهار التي تزين البيت أما الكبار فهم بمثابة (الذراع الأيمن) لوالديهم.

ونجد بعض الأمثال تبين أن الأبناء في طفولتهم يجلبون السعادة في البيت وخارجه بينما في شبابهم يجلبون المشاكل ومن بينها:

"الشباب باكورة الحياة"

"أحدّ الناس قلوبا الفتيان"

كما أن ثمة من الأمثال الشعبية التي تحذر من كفالة الأطفال وتبين أن الطفل لا يعرف في النهاية إلا والديه ومن بينها قولهم:

- "اللي ربى ولد الناس كاللي دق الماء فالمهراز".

فصورة تربية ابن الغير كمثل دق الماء في المهراس، يصيغ بعضهم هذه الأمثال على هذه الشاكلة بألفاظ سهلة الإيجاز وأكثر وضوحا وتبسيطا قولهم:

- "حيط الرمل لا تعليه، يطلع ويولي لساسه ولد الناس لا تربيه يكبر ويولي لناسه"[1]
- "راع أباك يراعك ابنك"
- "لبن الناس ما يسمى كسرة وولد الناس ما يطول العشرة"
- "كثرة العيال سوس المال"[2]

فجملة هذه الأمثال تصب في واد واحد الابن لا يعرف في النهاية إلا والديه.

وعلى ذكر الأسرة، يستوجب علينا ضبط أبعادها وفق ما شرعه الله عز وجل، فالزواج يحمي القرابة من البنات، وهذا ما يدخل في جانب الزواج الداخلي،

---

[1] عبد الرحمن المجذوب: القول المأثور من كلام الشيخ مع مقدمة وشروح تصنيف نور الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية المكتبة الأدبية الجزائر، ص29.

[2] الخوارزمي ، 25.

بدفاع الحفاظ على الملكية أي تأكيد بقاء الإرث داخل مجموعة القرابة[1] طبقا للمثل الشعبي:

- "من باع أرضه باع عرضه"[2]
- "يسقط الفرع إذا سقط الأصل"، وقولهم:
- "ملس من طينك يسجى لك"

وعليه فإن من باب الاتقاء، بل العيش في كنف السلم الدائم لما قد يحدث من خلل في هيكل الشرف العائلي، يكون الزواج من الفتاة القريبة ليس مستحبا فحسب بل واجبا.

فكم من عائلة أرقى من أخرى مما يجعلها تخشى اختلاط التقاليد والعادات عند الزواج من خارج العائلة مما يعني عدم وجود مكانة للغريب بينها وهذا ما يجعلها تشجع على التشبث بالزواج الداخلي[3].

فالزواج الداخلي يتصل مباشرة ببنات العمومة أو بنات الأخوال "ولعل من أسباب هذا الإقدام، هو أن الفتاة تكون مأمونة السلوك فضلا على أنها لا تكلف راغب الزواج بالبحث عن نسبها وحسبها"[4].

وهناك جانب ثاني يتمثل في توسيع دائرة القرابة بالمصاهرة من جماعات أخرى جديدة، يدخل هذا في ما يعرف بالزواج الخارجي على ضوء بعض الأمثال يتبادر لنا أن هذا الجانب له نصيب هو الآخر على غرار القرابة يتمثل في قولهم:

- "تزوج المرأة البعيدة، واحرث الأرض القريبة"[1].

---

[1] محمد رياض: الإنسان دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص492.

[2] الثقافة الشعبية: مجلة تعنى بمواد التراث الشعبي، تصدر عن معهد الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان، العدد 2، 1415 هـ، ص68.

[3] تاريخ العلامة ابن خلدون، المقدمة: كتاب الخبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية للنشر، 1984، ص174.

[4] طبقا للمثل الشعبي القائل:"خذ بنت الحسب والنسب".

❖ "النساء منظر الرجل وقرة عينيه"[2]

فكما هو واضح من القراءة الأولية لهذين المثلين انطلاقا من معنيين كانا سببا في وجود علاقة بيولوجية جديدة تقضي بدورها إلى استمرار النوع.

❖ فبُعد منزل الزّوجة عن أهلها، يفرض زيارتها لأهلها بتنظيم محكم أوقاته متباعدة، مما يقلّل نشوب اختلافات بين الزوج وزوجته يكون عادة مصدره الحماة.

أضف إلى هذا أن العبارة (تزوج المرأة البعيدة) تتصل مباشرة بالمرجعية الدينية[3].

وهكذا فإن العلاقة الجدلية بين الزوجة البعيدة والأرض القريبة تبقى خاضعة لعادات وظروف تتحكم فيها أنماط اجتماعية وثقافية تختلف تماشيا والزمان والمكان، فضلا عن إمكان تأثرها بعوامل خارجية كالغزو الثقافي أو الهجرة العائلية من مجتمع ريفي إلى مجتمع حضاري أو العكس.

وما ورد تجاه الأسرة وعناصر تكوينها، فهي مثل الشخصية التي ترتبط بمراحل تكوينها، وتعلو بها إلى أسمى المراتب، فالعائلة التي تبدأ بالزوجين ثم الأبناء تسعى إلى تحقيق الأمن والهدوء والاتزان بين أفرادها، شريطة توافق آراء الأب والأم، وواجبهما تجاه تربية أبنائهما، وهؤلاء بدورهم تنتظرهم المسؤولية الأكبر في صنع هذا الصنيع ونتاج هذا الإنتاج، إنّه تحقيق السلّم لا أكثر.

---

[1] عبد المالك مرتاض: الأمثال الزراعية، دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلا شعبيا وجزائريا ، الجزائر 1987، ص28.

[2] الطاهر أحساين: الوظيفة التربوية في الأمثال العامية الجزائرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير معهد الثقافة الشعبية تلمسان (1414هـ- 1994 م) ص 134.

[3] قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اغتربوا ولا تضووا" وقد أقيم النهي هنا على علة الضوء أي الهزال.

ومن جملة ما ورد من الأمثال التي تحثّ على وجوب الاهتمام بالوالدين ورعايتهم خاصة في شيخوختهم استجابة لقوله تعالى: ﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1].

وإذا ما أحسن الأبناء التصرف والتدبير المحكمين تجاه الوالدين بلغوا السلم وأدركوا معناه الحقيقي. وثمة من أقوالهم رواج هذا المثل الشعبي على ألسنة العامة:

- "الطائع والديه كل خير يأتيه"
- "زيّنوا مجالسكم بالشيوخ"

فالمثل يستوجب طاعة الوالدين لما يجلبانه ساعة طاعتهما من خيرات تعد ولا تحصى.

أما المثل الثاني، حقيقة أقرها الواقع المعيش، "فإذا غاب الكبير غاب التدبير" جاء تعبيرا مؤكدا على أهمية الشيوخ في الأسرة:

- "وقروا المشاييخ فإنهم مواطن الوقار ومعادن الآثار"

وإذا كانت هذه دعوة الوالدين لقدرهما وشأنهما فهما مطالبين برعاية أبنائهما والمثل الشعبي خير دليل وتمثيل قولهم:

- "طيعوا أولاد كم لتأكلكم النار"

[1] سورة الإسراء 23-24.

وانطلاقا من الأمثال الشعبية المتعلقة بالأسرة والأبناء نلاحظ بكل طلاقة أن التنظيم المحكم بين عناصر الأسرة له الحظ الأوفر لبلوغها أسمى المراتب والعيش في عالم هادئ لا ينتابه خلاف ولا يليه تلف لأن تربية الأبناء تعرف رواجا كبيرا في أوساط المجتمع الجزائري والأمثال المستفيضة خير دليل، فللأم أثر كبير في تربية أبنائها، وقد وجه حافظ إبراهيم هذا الأثر في مقولته المشهورة – الأم مدرسة – وعند العامة أيضا إذا صلحت الأم صلح المجتمع برمّته، ولأنها مضرب المثل في الحنان ولديها ما تخفي من العطف والحنان وما يغمر أولادها جميعا من سلام ورفق ورحمة فبفضلها لا غير.

إلا أن على الأم ألاّ تفرط في دلال أبنائها لكي لا تفسدهم بكثرة العطف والحنان الزائدين لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، ففي هذا المجال ورد المثل الآتي:

- "لا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ"
- "أوجع مصائب العباد موت الأولاد"

فكم يظهر أثر التربية البالغة من لدن الأم على البنت أكثر من الولد إذ يقول المثل:

- "تحمل البنت شبه أمّها"

كل ما ورد ويرد وجدناه يصب في واد واحد تتعدد مجاريه وينابيعه، إنه السلم الذي تظهر بوادره في الطبيعة بفضل أم حنون وأب كريم، هذا الأب الذي له حقه في تربية جيل صالح بفضل دوره الهام فهو من يشارك الأم في مسؤولياتها وأن يعنى بتربيتهم تربية صالحة، ويقول المثل في فضل العناية بالأولاد:

❖ "اضرب الكبير، يتعلّم الصغير"

وما وجدناه يعكس الموازين، ألفاظ المثل القائل:

❖ "النار تولّد الرّماد"

ومنهم من يربط بين نشأة الولد وأحد أقربائه فيقولون:

❖ "البنت لعمتها والولد لخاله"

ونجد معاناة الأم في تربية أبنائها ظاهرا عند أولئك الذين يعرفون قدر ومكانة الأم وهي تتعب.

وما يدل على تحقيق العيش الهادئ في مجتمع يعرف نكبات وتقلبات بين الفينة والأخرى، ما ورد في الأبناء تجاه آبائهم قولهم:

❖ "صنعة بوك، لا يغلبوك"

❖ "أمشي مع ندك والبس قدك وتبع طريق بوك وجدك"

❖ "اللي يتبع طريق بوه ما يعايروه"

علاوة على هذا ما يجعل العلاقة الأخوية تحمل معاني السلم والهدوء والسعادة، وتقديس الأخوة وتقديمها على كافة أشكال الروابط الاجتماعية فترد على ألسنة العامة في مجتمعنا أمثالا شعبية منها:

❖ "خوك خوك لو كان عدوك"

❖ "خوك خوك لا يغرك صاحبك"

❖ "خوك من أمك كي العسل في فمك وخوك من بوك كالعبيد يلا ناسبوك"

وبعد هذا كله فإننا بكل برودة أعصاب نستطيع أن نضيف أن الأمثال التي تعكس طبيعة العلاقات الأسرية بكل ما تشيه إيجابا وسلبا، والأمثال ترصد وتساعد

في الكشف عن العوامل التي تلعب دورا في توطيد شبكة العلاقات الأسرية وهي علاقات نابعة من طبيعة المجتمع الإسلامي وتخضع لظروفه بلا منازع.

وما ورد لا يعني دراسة شاملة للأسرة الجزائرية، ذلك أن الأمثال ترتبط بموضوع معين هو الأسرة تحقق السلم وفق التربية والمعاملة وعليه فهذه الأسرة التي تتصل في تكوينها بجنس المرأة، فما علينا إذن سوى ضبط مكانة هذه المرأة التي منها تبدأ الرحلة للبحث عن بناء استراتيجية السلم في مجتمع فيه تقاليد وعادات مرتبطة بالدين الإسلامي، فإنتقينا من الأمثال المتداولة ما يصلح لضبط حقيقة السلم في تكوين الأسرة من منطلق المرأة الصالحة والمجتمع.

2-المرأة الزوجة والمجتمع:

إن الزواج مهمة عائلية تقوم أساسا على عاتق الزوج والزوجة فهما مطالبان بتأدية واجبهما كما هو مفروض عليهما، والذاكرة الشعبية تزخر بالكثير من أقوالها، ولعل من أشهرها ترددا على الألسنة:

- "خير أخلاق النساء الجبن والبخل"
- "النساء كالدواهي والدواهن لا يطيب العيش بلا هن والبلا هن"

دلالة المثلين صرامة النظرة الشعبية إلى موضوع بناء الأسرة، فالزواج مسؤولية كبيرة تدعو الرجل إلى توفير الأسباب لبناء أسرته، فالزواج لا يبقى إشباع غرائز فقط، "بل هو إطار ثقافي يصعب على الرجل أن يمر كرجل من طبيعته الفطرية إلى دوره الاجتماعي الذي ينص عليه العرف كنائب عن المرأة وعن أولاده.

فالرجل ليس الوحيد المسؤول، بل كذلك المرأة، وتتمثل مسؤولياتها في حسن التدبير والتسيير، فمن واجبها أن تحافظ على الاندماج الشكلي والمعنوي، فأدوارها كثيرة ومتنوعة، خاصة وأنها تعيش بين عدد كبير من الأفراد.

ونجد أيضا أن سعادة الرجل المرتقبة تبدأ ببحثه عن المرأة التي تحقق له هذه السعادة أولا والمجتمع ثانيا، فلابد من اختيار شريكة حياته، وفي هذا الاختيار يجب التفكير بالتأني والمتابعة قبل الإقدام عليه، والمثل الشعبي خير دليل:

❖ "حسن الصورة أجمل نعمة تلقاك"[1]

ولأن التسرّع في اختيار شريكة الحياة قد يبعد معنى الهدوء عن عالم الأسرة، والأمثلة في مجتمعنا كثيرة تعد ولا تحصى، ولعل مقولة عبد الرحمن المجذوب تنبه، فهو من قال: "لا يعجبك نوار الدفلى، في الواد داير ضلايل، ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل"[2]

ونجد مثلا شعبيا آخر، يقرب الصورة أكثر، ليفصح على أن تكون الفتاة المرأة من أصل طيب ليضمن للزواج حياة سعيدة فيقول المثل:

❖ "إذا حبيت تبني الساس، تزوج بنت الناس"

كما يجسدها "سقراط" قائلا: إذا أردت أن تعيش سعيدا فتزوج امرأة ذات طيب وجمال، أما إذا أردت أن تعيش فيلسوفا، فتزوج امرأة مشاكسة".

أيضا من الأمثال الشعبية التي تشي مفهوم السلّم في معنى السعادة قولهم:

❖ "ما تديش[3] المرا المعفونة تتعاون هي والزمان عليك"

---

[1] ونجد المثل يأخذه البعض بصياغة أخرى، "زواج لبدة تحواس عام"

[2] عن طريق المشافهة ويعرف دورانا كبيرا على ألسنة العامة.

[3] ماتديش: بمعنى لا تتزوج

وما يستوقفنا للنظر هو أن هذا الزواج لا يتم ولا يعرف الاستقرار النفسي بين الزوجين ما لم يرتبط بالرضا وفي هذا الشرط نجد أحدهم يقدم هذا المثل للفصل والحد قائلا:

❖ "الزواج بلا رضا كالحرث بلا روا"

فالزواج الذي ينقصه الرضا حاله حال الأرض التي تفتقد للماء.

وما نخلص إليه مما سبق ذكره، أن المرأة وبناء أسرة هي المرأة نفسها وبناء المجتمع، فهي منبع الخير والفلاح للأسرة بخاصة والمجتمع بعامة، شريطة أن تكون خيّرة صالحة، كما أن انحرافها وإهمالها يمكن أن يصيب أهلها وذويها، وفي هذه الحالة يفشل الزواج، وتنهار الأسرة فيحدث الطلاق، وما يؤكد هذا ما جاء في نظرية المثل القائل:

❖ "النساء شقائق الأقوام"

فهذا المثل يتكون من عنصرين: الأول: جملة الشرط والثانية جواب الشرط، كما نلمس أيضا نوعا من التهديد والتخويف، ومدلول هذا المثل إما أن تتجاوب هذه المرأة مع متطلبات الرجل، أي أن تكون مصدر سعادته وإما تُطلّق.

ومعنى هذا أن سعادة الرجل من حقه، وقد خلقت المرأة لتسعد الرجل ومعنى السعادة في هذا المثل لب الخير والمنفعة والمحافظة على الاندماج الأسري كلها تتدرج ضمن غضون السّلم.

3- قيمة العمل في المثل:

واضح أن العمل جهد عضلي أو فكري، يبذله الإنسان لغرض تحقيق رغبة اجتماعية، نفسية، ثقافية، اقتصادية أو سياسية، ويقابل بمكافأة مادية أو معنوية.

قديما كان العمل الجسمي عنوان العبودية بل يترأسها لأنه يؤلم الجسم ويتعبه ويشد الإنسان إلى عالم الماديات، فهذا العمل الجسمي العنيف في الفلسفة اليونانية يحط من قيمة الإنسان، وقد جاءت العقيدة المسيحية تؤكد هذه النظرية إلى حد ما على أساس أن العمل نوع من الآلام بل من العذاب الذي يعانيه المذنب، ثم ومع مجيء الإسلام دعا المؤمنين إلى الكسب الشريف، فورد في الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده"[1]

ومعنى هذا أن المؤمن الأمين هو الذي يساهم في تعمير الأرض ويقوم بدور فعال في الحياة الاقتصادية، فلا يعتزلها التبرؤ من هذا العالم ولعنه وانتقاصه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]

فقد غير الإسلام النظرة التي كانت سائدة من العبودية إلى عالم آخر، فلم يعد العمل الجسمي يحط من قيمة الإنسان، بل صار بلا منازع يرفعها مما جعل الناس يمارسونه، فقلت حاجاتهم إلى العبيد وأصبح عنقهم مطلبا دينيا فزهد الناس فيهم.

---

[1] رواه البخاري.

[2] سورة الجمعة، الآية 10.

الناس يمارسونه، فقلت حاجاتهم إلى العبيد وأصبح عتقهم مطلبا دينيا فزهد الناس فيهم.

أما النظرة الفلسفية للعمل مردها إلى فترة سحيقة من التاريخ الإنساني أي حوالي 1500 قبل الميلاد عندما تكونت الديانة الهندوسية، فمن المعروف أن العمل في هذه الديانة والذي يسمى (كراما) كان له معنى فلسفيا يتعلق بفكرة التناسخ أي انتقال الروح من الكائن إلى الآخر في رحلة طويلة من أجل التخلص من الشقاء، فهذه الديانة تؤكد أن الإنسان هو نتيجة حتمية لطبيعة الأعمال التي تقوم بها.

أما العمل في نظرة "أفلاطون" فمرتبط بطبقة معينة من المجتمع هي طبقة العمال، وبهذا يعتبر أفلاطون صاحب نظرية تخصيصية للعمل، إذ انه يقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات أساسية هي: "الفلاسفة والجند والعمال"، أما العمل فيقابل النفس الشهوانية عند الإنسان، وفي القرن الرابع قبل الميلاد كان "أرسطو" يعتبر أن العمل مرتبط بطبقة اجتماعية معينة هي طبقة العبيد وكان يرى أن الأعمال اليدوية لا تليق إلا بالبرابرة.

أما في العصر الحديث، فإننا نجد النظرة الفلسفية للعمل عند "هيغل" في أوائل القرن التاسع عشر بإقامته لجدليته الشهيرة بين "السيد والعبد" حيث اعتبر العمل منبثقا للحرية بينما "برغسون" يعتبره منبثقا للعقل، لأن الإنسان الحكيم هو قبل كل شيء إنسان صانع، إذ ليس العقل إلا القدرة على صنع أشياء صناعية، فالعمل يقوم به إنسان واع يتصور نتيجته مسبقا، فهناك فرق كبير بين أمهر النحل في صناعة الخلايا الشمعية وأقل المهندسين مهارة، ذلك أن المهندس يبني البيت في ذهنه قبل بنائه بالفعل، فهو يتصور نتيجة عمله مسبقا بواسطة خياله، وعلى

هذا فليس العمل مجرد حركات مادية إذ هو نشاط يقوم به الفكر أثناء نفوذه من خلال المادة وبث الروح فيها وإعطائه صورة جديدة.

إن ما لا يخفى على الإنسان هو أنه يجني الإنسانية التي بفضل هذا العمل تنمى، فالفائدة من وراء عمله ذاتية. تتمثل في الأجرة، بل أن العمل ينتزع الإنسان من نفسه ويحرره من الدائرة الذاتية، والتجارب المتعددة والعديدة، فإن نسبة إصابة المصابين بأمراض عقلية تعرف تخفيفا من حدة آلامهم عندما يكلفونهم بالقيام ببعض الأعمال.

أما من الناحية الاجتماعية فإن الكسل والبطالة غالبا ما تكون مطيتين للانحراف وبوادر للإجرام واقتراف العنف فالعامل يتحرر من عالمه الذاتي الضيق ليدخل عالم الحياة الاجتماعية ويقوم بدوره ضمن الهيأة الاجتماعية التي يضطلع بنشاطها جميع أفرادها ولهذا يمكن أن نقول أن العمل هو إحدى خصائص الإنسان بفضله يدرك قيمته الإنسانية والاجتماعية وحتى يكون الإنسان إنسانا يجب عليه أن يعمل.

وعليه فإن الحقيقة الفلسفية التي ثبتت مقاصدها جسدها الموروث الشعبي من خلال المثل الشعبي الداعي صراحة إلى العمل وهي الأشيع والأكثر رواجا ودورانا على الألسنة، ومن جملة هذه الأمثال التي قدست ومجدت العمل قولهم:

- **"اخدم باطل وما تبقاش عاطل"**
- **"الصنعة إذا ما غنات تستر"**
- **"اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري"**
- **"الرجل بلا سكة والمرا بلا ركة ورواح يالهم وتوكا"**

كم هي صورة بالغة الوصف لتحقيق الاتزان النفسي لدى الإنسان فهذه العينة تمجد العمل والكد وتخص الناس عليه وهي بذلك تنبذ الكسل والتواكل وتطعن ضمنيا فيهما ولو تمعنا جيدا المثل الثالث لوجدناه يدعو إلى ضرورة استغلال مرحلة الشباب من أجل الشيخوخة لسبب أول هو أن الإنسان في مرحلة شبابه يكون يتمتع بكامل قواه الجسدية والعقلية فلا بد من أن يعمل في هذه المرحلة ليجد استقرارا واتزانا في شخصيته فحصوله على هذا العمل يزيد علامة لشخصيته التي تبدأ منذ الولادة تكوينا فليعمل الشاب لدنياه كأنه يعش أبدا وليعمل لآخرته كأنه يمت غدا.

والعمل أيضا إذا لم يغن الإنسان يجعله في مكانة مستورة كما يجسده المثل الثاني، والعمل كذلك إن لم يجن الإنسان من ورائه نقودا، فعلى الأقل إنه يبتعد عن الانحراف الذي يولد له مخاطر تعكس صورة المسالم إلى متوتر وهذا ما يظهر في المثل الأول.

وإذا حددنا الجانب القياسي في المثل الأخير فنجد أنه يسخر سخرية لاذعة من الأسرة التي لا تعمل أفرادها، فالرجل بدون سكة أي لا يحرث أرضه ما دام فلاحا كذا بالنسبة للمرأة لا ركة لها أي لا تغزل الصوف ما دامت امرأة أم مسؤولة على تلبية متطلبات العائلة، كون الغزل هو شرف المرأة الريفية، إن مثل هذه الأسرة الريفية الكسولة لا ينجيها من هموم الفقر وبالتالي اقتراف أي نوع من أنواع العنف، ما نلاحظه في القسم الثالث والأخير من المثل "ورواح يالهم وتوكا" أي هلم أيها الهم بصدر رحب إلى هذه الأسرة التي تكاسلت وتواكلت.

وما تدعو غير هذه الأمثال يأخذ مسارا معاكسا، كونها ترفض التواكل والتخاذل والتقاعس، بل تدعو إلى الجد والعمل ومنها قولهم:

- **"اللي خدمته في أظفاره، ما يجيه النوم في اشفاره"**
- **"اضرب ذراعك تاكل المسقي"**
- **"ضربة بالفاس خير من عشرة بالقادوم"**
- **"إذا حبيت الهم عنك يزول عليك بسكة ومنجل"**

فليس من شك أن جملة هذه الأمثال تدعو إلى العمل وتعتبره الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفقر، فالسكة والمنجل في المثل الأخير هما رمز العمل الزراعي أقدم عمل عرفه الإنسان واندفع إليه سعيا وحديث النبي "صلى الله عليه وسلم"، خير شاهد ودليل: " ***أفضل الكسب الزراعة، فإنها صنعة أبيكم آدم***"[1]

إذن لا شيء بدون سعي، "فالطبيعة تهيئ للإنسان تربية يكتشف بها التفاعل بين عناصرها لتنتج له ما هو في حاجة إليه، لا للعيش فقط بل وللحياة والسيادة أيضا، لكن عمل الطبيعة يقف عند نزول المطر من السماء إلى الأرض، ليبقى مجرد تربية للإنسان يجب أن يتولى بنفسه إتمامها وتطويرها تطويرا لا يعرف الحدود على يده"[2].

ومن هذا التسخير، يرد في الحديث الشريف:

- "التمسوا الأرزاق في خبايا الأرض"[3]

وللميدان صورة معبرة في هذا السعي للعمل:

- "من طلب وجد وجد"[4]

---

[1] رواه مسلم و البخاري-

[2] عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ص425.

[3] الماوردي، 133، مختار الأحاديث، 22 (وفيه: أطلبوا الرزق في خبايا الأرض)

[4] الميداني،2، 183.

- "السّعر تحت المنجل"[1]
- "استعينوا على حوائجكم بالإبرام"[2]

وما على الإنسان مراعاته هو أن لاشيء يحصل له بغير سعي والمواد التي تمنحها الطبيعة لا تكفي لأنها معينة فقط فلا بد من سعيه معها والسعي يجب أن لا يكون خبطا أو مصادفة، بل يكون بالقصد كما يتضح من أمثال ترد على ألسنة العامة من الناس في مجتمعنا كقولهم:

- **"تخدم اللّيل والنّهار وما نمدش يدي للرّجال"**
- **"الرجل من الفحم يجيب القفة باللّحم"**
- **"اليدين الموسخين يجيبوا الدراهم"**

فالعمل مهما كان نوعه حتى ولو كان في الفحم وتتسخ فيه الأيدي، المهّم جني المال الحلال الذي يقضي نهائيا على بوادر العنف ويصل إلى أبعاد السلّم، والرسول "صلى الله عليه وسلم" قال في هذا الشأن:**"لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب ويبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"**[3]

وصدق من قال أيضا في هذا الباب:

- **"لا بد من مال يعيش به، وداخل القبر يلزمه الكفن"**

وما لا يستدعي الشك هو أن جملة الأمثال توجه الإنسان في طريق الخير والرشاد والعيش في كنف السلّم ليحقق ما يصبو إليه الجميع "السعادة"، طبقا لما نصت عليه الأحاديث النبوية.

---

[1] الميداني،1، 241.

[2] الميداني 1، 242.

[3]

وما لا يستدعي الشك هو أن جملة الأمثال توجه الإنسان في طريق الخير والرشاد والعيش في كنف السلم ليحقق ما يصبو إليه الجميع "السعادة"، طبقا لما نصت عليه الأحاديث النبوية.

فالعمل في أي ميدان من ميادين الحياة شرف للإنسان لأنه الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن يحرر نفسه ويصون كرامته ويتحمل مسئوليته اتجاه الحياة واتجاه مجتمعه، فالبطالة والكسل والتواكل شر ما يبتلى به الإنسان ليكون عنيفا لأن مآله الفقر الذي يعتبر في الإسلام قرين الكفر لأنه يحوج ويذل كرامة الإنسان. فالأمثال الشعبية تدعو إلى العمل والذي يعمل هو السيد وأن الذي لا يعمل هو العبد الذي يحتاج إلى الآخرين وفي المثل صورة حية لهذا النمط قولهم:

- **"خديم الناس سيدهم"**
- **"خادم الرجال سيدهم"**

فالمثل بكلتا الصيغتين يتفق مع جدلية "هيغل" "العبد والسيد" ويؤكد المثل الشعبي على أن العمل لا يؤثر على حرية الإنسان فيقول أحدهم:

- **"الحر حر والصنعة ما تضر"**

والإنسان طالما يعمل فإنه يكسب ليعش حياة سعيدة فالسعادة سلم وأمن واستقرار نفسي اجتماعي بلا منازع، فإذا فقد كل شيء فدلالة على توقفه عن العمل، إذ يقول المثل:

- "الكساب اللي يمل الحركة يفقد البركة"

"ولعل ممن مجد العمل والصنائع كل التمجيد هو "ابن خلدون" ليطرح إشكالا: كيف يكون الكسب هو قيمة الأعمال البشرية ومع ذلك يعيش أهله في الخصاصة ومدافعة الفقر؟

إن ابن خلدون يمجد العمل لا لما يجلبه للعامل من متعة في العيش، بل لأنه عنوان المعرفة الحقة تلتقي فيهما اليد والفكر لينتج أجمل قصيدة ألفها الإنسان، وقد شغف ابن خلدون بكل معانيها وألفاظها ومقاصدها وهي قصيدة العمران البشري وجهاد الإنسان الرائع فيه، رصعها بلآلئ من عرق جبينه وداعب أوتاره الشائكة بيده الغليظة المخشونة، فبنى القصور والمعابد ونام في الأكواخ والغيران، وصارع الزوابع والثلوج واكتوى بالشمس المحرقة ولكنه انتصر على كل المتاعب بالتعاون والصدق والجهاد والأمل[1].

ونجد من الأمثال الشعبية مثلما تدعو إلى العمل، تحرص كل الحرص للاستعداد للقيام بهذا الواجب الذي يجني من ورائه كل إنسان السعادة والرقي، فالإبكار شرط أساسي يخصص له المثل الشعبي حيزا بين ثناياه، لأن الإبكار من شأن أهل الريف، حيث تنهض المرأة مع الطير ومثلها الرجل من أجل أن يقوم كل منهما بعمله، فالمرأة تهتم بالأنعام لتحضير الماء على ظهرها أو على الدابة، في حين أن الرجل يهيئ نفسه للقيام بالعمل الخارجي كالحرث أو الحصاد أو الدرس، لذلك نجد ألفاظ الأمثال الموجزة تحمل دلالات عميقة ترشد وتحبب الإبكار والنهوض باكرا كقولهم:

❖ **"أحرث بكري ولا روح تكري"**

فالإبكار عكس الانتظار الذي جسده المثل العربي القائل:

❖ **"الانتظار نزع بلا موت"**

والإبكار ليس وقفا على من يحب الدنيا وحدها ويحرص على نيل خيراتها وتذوق لذاتها، بل يجب أن يصاحب حتى أولئك الذين يؤدون نيل السعادة

[1] عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ص.ص442-443.

والرضوان في الدار الآخرة حيث يقومون آخر الليل، فلا تفوتهم صلاة الفجر أبدا، فمن العسير بلوغ الثراء بالتواكل والتكاسل والركون إلى الدعة وراحة البال، فالدنيا والآخرة دارين والإبكار من أجلهما أمر محتوم عند صانع هذا المثل ومعده:

❖ **"اللي يحب الدنيا يبكر لها واللي يحب الآخرة يبكر لها"**

ويأتي مثل شعبي آخر يندد بالحركة وتجنب الخمول:

❖ **"الحركة بركة"**

أي أن الإنسان الذي يسعى إلى طلب الرزق بالعمل يبارك الله له فيه، لأن العمل هو الحياة والدعوة إليه دعوة إلى السلم للجميع، فاتزان شخصية الإنسان تكتمل بالعمل في الحياة وممارستها اجتماعيا واقتصاديا وبيولوجيا إذ تقول العامة:

❖ **"كل شيء بالأمل غير الرزق بالعمل"**

والميداني يقول:

❖ **"كل امرئ في شأنه ساع"**[1]

❖ **"بق نعليك،. وابذل قدميك"**[2]

إن الأمثال الشعبية أكثرها تدل دلالة قاطعة وفق تجارب قائليها وما عايشوه ونكبات الدهر التي تعلموا منها ما ليس باليسير، كلها تدعو إلى اليقظة والحذر من الانحرافات التي تنجم عن التوتر تارة وعن البطالة تارة أخرى كأن تؤدي هذه الأخيرة إلى السرقة والانتحار كلها دلالات العنف... إذ يقول المثل الشعبي:

❖ **"راس الكسلان، يسكنه الشيطان"**

❖ **"راس البطال فيه ألف شيطان"**

---

[1] الميداني: 2، ص134.

[2] الميداني:1، ص59.

ونخلص من هذا كله إلى أن الذاكرة الشعبية وفقت بقدر كبير وأوفر إلى عواقب الكسل والبطالة و وما تخلّفه من سلوكات سلبية ضحيتها الفرد داخل مجتمعه مآلها خطيرة وعواقبها وخيمة قد تدمّر شخصية الفرد والمجتمع معا، فشبه الفكر الشعبي البطّال أو الكسلان بالشيطان وبكلّ ما تحمله كلمة الشيطان من رموز سلبية ومن هذا المنطلق، وقفت الذاكرة الشعبية موقفا إيجابيا إزاء العامل، وموقفا سلبيا إزاء المتخاذل الكسلان المتقاعس البطّال، كما اتجه الفكر الشعبي أيضا إلى تمجيد العمل وجعله علما على رأسه نار، وفق قوانين اجتماعية وثقافية تضمن السلّم والعيش السعيد للفرد داخل مجتمعه لينتفع وينفع غيره فبفضل العمل يحقّق الإنسان إنسانيته، لأن العمل عبادة.

أضف إلى هذا أن مفهوم الحياة كان شاملا ضمن ثنايا الأمثال المتداولة جيلا بعد جيل ظهرت من خلال إيجاز ألفاظها حيوية أمتنا العربية وولوعها بالعمل، والجد والنشاط والدعوة إليه تقود الجميع إلى ما يرضى وجه الله –عزّ وجلّ– ومصداقا لقوله تعالى : ﴿وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ﴾.[1]

ثالثا : النتائج تحدد الجدلية

– بناءا على القاعدة العامة التي ترى أن وجود العضو دليل على وجود الوظيفة، فيمكن طرح بعض الأسئلة التي تفرض نفسها في هذا الجانب والمرتبطة أساسا بدور الأمثال الشعبية في تنشئة اجتماعية للأفراد، فكيف ساهمت هذه الأخيرة في توجيههم التوجيه التربوي المنشود.

---

[1]– سورة التوبة. الآية 106.

- إن عملية التنشئة الاجتماعية أو التصليح الاجتماعي -كما يسميه بعض الباحثين- ينطلق تطبيقها داخل الأسرة عندما يكون المولود في مراحل طفولته الأولى.

- فمعلوم أن أي طفل يولد لابد وأن يتفتح وجدانه الغض في فضاء ثقافي معين، ينفرد بخصائص متميزة ومعايير وقيم محددة.

- كما يمكن أن نلمس أهمية دور السرة في تنشئة الأفراد تنشئة اجتماعية سوية بالرجوع إلى النماذج البشرية التي رمتها الأقدار والظروف للعيش في بيئة متوحشة أو معزولة عن الحياة البشرية العادية حيث حرمت من عناية ورعاية الأشخاص البالغين فتعذر عليها اكتساب الأنماط السلوكية الإنسانية التي تؤهلها للعيش بين أفراد المجتمع البشري الذي يبقى ينتظر من يخلصه من الشبح المخيف ألا وهو العنف.

- وما يمكن التركيز عليه في هذا المضمار المرتبط بالتنشئة الاجتماعية فهذه الأخيرة لا يمكن أن تتم بصفة ناجعة وسوية إلا في إطارها الثقافي السليم المتعارف عليه، ولا يمكن أن ننتظر من النمو التلقائي والتطور العشوائي تكوين الأشخاص المرغوب فيه لبناء مجتمع راق وسليم؛ إذ أن ضعف المكونات البيولوجية والعناصر الوراثية حينما تترك لشأنها تعجز عن تكوين الشخصية الإنسانية لأن القدرات البشرية لا تنمو إلا في إطار ثقافي يتفاعل معه الفرد ويتأثر به، وهذا ما يعرف بالتنشئة التربوية حيث يندمج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه ومدى تعليمه أساليب السلوك السوي في المجتمع الذي يعيش فيه، . فالبحث عن السلم يقتضي اكتساب الإنسان القيم الاجتماعية والسلوك الأخلاقي.

- ويتبادر إلى الذهن في هذا المجال الحديث النبوي الشريف، الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[1].

- وبهذا نلحظ أن مسلسل التنشئة الاجتماعية ذو حليقات متصلة فكل حلقة فيه تؤدي إلى التي تليها، وبذلك مجد أنه كلما انتقل الشخص مع سيرورة الحياة فهو يلم مجموعة متشابكة واسعة ومتناقضة من استجابات منظمة حسب الأدوار وعلى مستوى أكثر تحديدا بفترات الدور، كما يمكن أن تنعزل هذه الاستجابات عن الإطار الذي تعلمت واستعملت فيه، وتنضم إلى استجابات أخرى مقابلة في خليط يصعب فك خيوطه، وهذا ما يعتري نفسية الراشد للطلبات المعقدة، وعلى هذا الأساس، وما لا جدال فيه أن العنف يبقى ظاهرة متفشية في المجتمع بسرعة فائقة وفي المقابل تبقى فكرة السلم وإيجاد الحل السلمي يسير بخطى بطيئة.

- بل إن الجدلية تبقى قائمة ترسم صورتها في المثل الشعبي ونقيضه، فتضارب المرامي تجسده هذه الجدلية وعليه نقول:

- إن الجاهل بجهله لا يستطيع أن يبلغ مكانة العاقل بعقله وهذا ما ترتب في مضامين المثل الشعبي القائل:

❖ "قد ما عند الجاهل في جهله قد ما عند العاقل في عقله".

إن الصراع يبقى مرده الاختلاف الذي يولد الخلاف لا ريب.

وإذا ما تمعنا في الأسرة ومراحل تكوينها وفق ما يقتضيه الدين يبقى مرتبطا بالجدلية الجنسية بين المرأة والرجل، تنطلق من عدم التراضي، **لأن شرط صحة**

---

[1]- رواه البخاري و مسلم. متفق عليه.

هذه العلاقة هو الرضى حتى يتسنى لهما بناء أسرة مسالمة لا ينتابها شكل من أشكال العنف.

- وما نخلص إليه هو أن الوصول إلى السلم أعظم تحد يواجه الإنسان ويرتبط هذا بما يخفيه المثل الشعبي القائل:

❖ **"إذا كنت تريد السلم فتهيأ للحرب"** .

لم يستوعب الكثير بعد فكرة صراع ولدي آدم المذكورة في القرآن، كأسلوب متقدم لحل مشاكل الصراع التي يتخبط فيها الكائن البشري، فكيف أن أحدهما ارتكب جريمة القتل، في حين أن الثاني يدافع عن نفسه، وهي قصة حكاها القرآن الكريم وفصل فيها برواية مثبتة الإحكام. في حين لا نستطيع استيعابها نحن نظريا، وهذا يروي قصة مرض الثقافة وتشربها بالعنف، فالكل يتحدث عن الظاهرة بل إن القصة تحمل بعدا تقدميا، ما زال الشوط فيه بعيدا أمام الجنس البشري، كي يحقق النموذج الإنساني السليم[1].

ولعل ما ينتاب نفسيتنا فعلا هو ذلك التقابل المفصل واقعا بين ثنائية (الخير والشر)، (الذكر والأنوثة)، (الليل والنهار)، إنه (العنف والسلم) الذي يرتبط أشد الارتباط بفكر الإنسان منذ كينونته على وجه الأرض. ولست أبالغ هاهنا إن قلت أن الصراع الإنساني بين خيارين اثنين لا ثالث لهما:

الخيار الأول: رد العنف بالعنف، بل بأشد منه، فهو يلجم العنف المقابل، أو هكذا قد خيل للإنسان منذ مطلع التاريخ.

الخيار الثاني: إنه أسهل وله بعض النتائج التي نراها إيجابية، فالعنف المضاد يلجم العنف الأول الذي انطلق، فهو يمس الجانب التربوي الثقافي، وزمن الإنسان الحضاري القصير، فالحضارة لم تبدأ مسيرتها إلا منذ فترة قصيرة لا تتجاوز ستة آلاف سنة، مقارنة بعمر الأرض الممتد إلى (4.6 مليارات) سنة وظهور الإنسان

---

[1] – د. خالص جلبي، سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي، دار الفكر العربي– بيروت، لبنان ص169

الحضاري القصير، فالحضارة لم تبدأ مسيرتها إلا منذ فترة قصيرة لا تتجاوز ستة آلاف سنة، مقارنة بعمر الأرض الممتد إلى (4.6 مليارات) سنة وظهور الإنسان قبل سبع ملايين سنة على ظهر الأرض، مع التحول الحضاري الهائل الذي بدأ منذ (ثلاثة قرون)، ولم يشتد عوده إلا منذ نصف قرن فقط[2].

إن ما يمكن إقراره هو أن العنف المتبادل في الصراع الإنساني لا يحل المشاكل بل يزيدها تعقيدا، فهو ينطلق من مشاعر الكراهية، والحقد، والخوف من الآخر، فيولد مثيله، فهذه هي آلية عمل المشاعر، فالحقد يولد الحقد، والكراهية تغذي مثيلها، والدم يفجر الدم، في دائرة صراع تمسك حلقاتها ببعضها البعض، وتغذي أطرافها نفس المشاعر، في ساحة لا تسمح إلا بوجود طرف واحد.

---

[2] – المرجع نفسه، ص170

خـــاتـمة

خاتمة

لقد آن الأوان في نهاية هذه الجولة العلمية لحصر وتحديد أبرز المعالم التي تم إعدادها بعد مرحلة الاجتياز بغية استخلاص أهم النتائج المتوصل إليها من وراء هذه المحاولة المتواضعة التي يؤمل في أن تكون قد أزاحت الستار وكشفت اللثام عن بعض الحقائق التربوية التي يزخر بها تراثنا من الأمثال الشعبية أو ساهمت على الأقل في باب الولوع بجماليات صدق تعبيرها من جهة، وما تشيه من أبعاد تنوعت بين الاجتماعي والأخلاقي كون الإنسان بطبعه كائن اجتماعي من جهة ثانية.

وما يفرض علينا إقراره هو أن الفرضية المرسومة في ما مس استيعاب معاني ثنائية العنف والسلم في المثل الشعبي وما استندنا إليه على ضوء آراء العلماء والمربين والباحثين المحدثين الذين أثبتوا أن ما من مثل إلا ويوجد مثل آخر يناقضه، لتبقى الجدلية قائمة بين متناقضين "العنف والسلم".

كما أن عملية التعامل مع الأمثال التي تعرف دورانا على ألسنة العامة في مجتمعنا قد فتحت لنا باب الوقوف على واجهة الافتراض المتوقع في ثراء أنواع ودلالات تؤديها، فالعنف النفسي يبقى الشبح المخيف الذي يلاحق الإنسان ومدى بحث هذا الأخير باستمرار دائم للتخلص منه لينضم عالم السلم والاتزان انطلاقا من رؤية واقعية لما ينتابه نفسيا ومدى ارتباط هذا الإحساس بالتعامل مع الوسط الذي يعيش فيه.

وفي نهاية المطاف، اتضح أن هناك أمثالا شعبية متداولة بين ألسنة أفراد المجتمع الجزائري بلا منازع تعرف دورانا، فهي ترتبط ارتباطا وطيدا بأحاديثه

ومعاملاته اليومية، كما أنها تحمل بل تخفي في ثناياها عصارة تجارب الأجيال المتعاقبة، وقيمها الاجتماعية المتعارف عليها، وما حرص أفراد هذا المجتمع على تقصيها إلا قياسا وحكما فاصلا في أغلب الأمور وتداولها بينهم دلالة على أن لها وظائف معينة تؤديها وحيزا محددا تحتله في حياة الناس اليومية.

هذا علاوة على تركيبها الجميل والموحي الذي يجعل المتلقي أذنا صاغية بل تزيده ولوعا بجمالياتها اللامتناهية.

وقد توصلنا أيضا بعد هذه الجولة المتأنية إلى أن جملة الأمثال المطروحة للمعاينة والتحليل والتدليل تفرض عظمة هذا التحدي الذي يواجه الإنسان، فلا يكمن في الطبيعة بل في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فحتى يصل إلى علاقة سلمية فلابد له أن أولا من الوصول إلى حالة السلام داخل نفسه، وإنها حالة الجدل الداخلية لديه من دون شك.

فالوصول إلى السلم يبقى أعظم تحد يواجه هذا المخلوق الضعيف.

وعلى هذا الأساس تبقى هذه المعالم التي حاولنا إبرازها وبلورتها قابلة للمزيد من التحليل والإفصاح عنها لغرض الوصول إلى أقصى ما يمكن من الفوائد التربوية، فمن منا لا يجهد نفسه كي يعيش في عالم هادئ لا ينتابه سلوك من أنواع السلوكات التي رفضها الدين ومسامحه العظمى جملة وتفصيلا.

ولئن كان الوقوف على دلالات هذا الموروث الشعبي ينتظر من يفتح سجله الغني والثري بهذه الدلالات التي تشعبت مضامينها وكثرت مراميها، فمن الصعب وضع حقيقة ثابتة لهذه المضامين كونها تختفي في حقل واسع يعرف بالأمثال.

وأخيرا يمكن القول إن الأبعاد الدلالية التي توصلنا إليها من خلال استنطاق الأمثال وتحليلها والتي حاولنا إبرازها تبقى قابلة للتحليل والتشريح؛ إذ تظل الأمثال تشع بدلالات غنية لا يمكن حصرها في بعد واحد مما يجعل قابلية إعادة النظر في مضامينها مفتوحا أمام كل باحث يطمح إلى استجلاء ما يختفي داخلها من دلالات ومعان تصب جميعها في ميادين اجتماعية كثيرة ومتنوعة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع العربية

1- القرآن الكريم

2- الحديث النبوي الشريف

3- ابن خلدون- المقدمة- كتاب الخبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية للنشر 1984.

4- ابن رشيق القيرواني- العمدة- أخبار محمد طه الجبلاوي، مراجعة عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي القاهرة، مصر- د.ت.

5- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي- لسان العرب- مادة مثل المجلد، الحادي عشر، دار بيروت 1968/311.

6- أبو بكر محمد بن عباس الخاورزمي: الأمثال - تحقيق محمد حسين الأعرجي- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر- د- ط- 1994.

7- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النسيابوري - الميداني- مجمع الأمثال م2- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت لبنان- الطبعة الثانية - د- ت

8- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني- مجمع الأمثال- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج1-م. العصرية بيروت د.ت

9- أبو القاسم الشابي - الخيال الشعري عند العرب- الدار التونسية للنشر - د.ت.

10- أحمد أمين – فجر الإسلام- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ط.10 1965.

11-أحمد أمين – قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية- ج1.د.ت.

12-أحمد بن نعمان – سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988.

13-أحمد أبو زيد – دراسات في الفلكلور- دار الثقافة القاهرة-1972.

14-أحمد ملياني- ثنائية الصراع والعنف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال المطبوعات الجامعية (1420هـ-2000م).

15-إدواردج موراي: الدافعية والانفعال: ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة القاهرة- دار االشروق، الطبعة الأولى (1408-1988).

16-أسعد أحمد علي – فن المنتخب العالي وعرفانه- المجلد1، الطبعة الأولى- دار النعمان- لبنان 1968.

17-ألكزاندر هجرتي كراب – علم الفلكلور- ترجمة رشدي صالح مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي القاهرة 1967.

18-شكري فيصل – أبو العتاهية- أشعاره وأخباره- مكتبة الملاح للطباعة والنشر- دمشق د ط-د ت.

19-حلمي المليجي – علم النفس المعاصر- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت ص- ب849 – ط2- 1972.

20-حنا فخوري- تاريخ الفلسفة العربية- بدران للطباعة والنشر بيروت- د ط- د ت.

21-خالص جلبي – سيكولوجية العنف و ستراتيجية الحل السلمي – دار الفكر العربي – بيروت لبنان. ط 1 – 1419 هـ/1998 م.

22-رشدي صالح – فنون الأدب الشعبي- دار المعارف- القاهرة د ط 1954.

23-زيدان عبد الباقي- المرأة بين الدين والمجتمع- مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1977.

24-سامية حسن الساعتي- الجريمة والمجتمع- بحوث في علم الاجتماع الجنائي- بيروت- دار النهضة العربية- الطبعة الثانية 1983.

25-سيمون حمصي إبراهيم- من الحكم والأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1990.

26-طاهر حساين – الوظيفة التربوية في للأمثال العامية الجزائرية رسالة لنيل شهادة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية تلمسان.

27-عبد الله شريط – نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون- د ط- د ت.

28-عبده الشمالي – تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها دار صادر بيروت، ط4، 1965.

29-علي ماضي – فلسفة في التربية والحرية- دار المسيرة- الطبعة الأولى- (آب) 1979.

30-عبد اللطيف شرارة – دائرة المعارف السيكولوجية-م1 دار صادر بيروت د.ت.

31-عبد المالك مرتاض – الأمثال الشعبية الزراعية- جامعة وهران- ديوان المطبوعات الجزائر.1982.

32-غسان رباح- ظاهرة الإجرام في حرب السنتين- بيروت دار المسيرة الطبعة الأولى 1979م.

33-فؤاد زكرياء – نوابع الفكر- دار المعارف- د ط، د ت.

34-قادة بوتارن – الأمثال الشعبية الجزائرية- ترجمة د- عبد الرحمن حاج صالح- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 02-1987.

35-قاسم أمين – تحرير المرأة- موفم للنشر- الجزائر 1990.

36-ليمان ولتر: مدخل إلى علم الأخلاق – المكتبة المصرية- صيدا- بيروت 1967.

37-محمد بيصار – العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع – دار الكتاب اللبناني- الطبعة 4- 1973.

38-محمد دالي يوسف – ألف كلمة وكلمة من كلام الوالدين- مخطوط سنة 1974.

39-محمد رياض – الإنسان دراسة في النوع والحضارة دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

40-محمد عاطف غيث – تطبيقات في علم الاجتماع- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت.د ت.

41-موسى الموسري – فلاسفة أوربيون – من ديكارت إلى برجسون- دار المسيرة، ط1-1980.

42-نور الدين عبد القادر – القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب الطبعة الثعالبية- الجزائر د ت.

43-هشام شرابي – مقدمات لدراسة المجتمع العربي- سلوكنا الاجتماعي وبنية العائلة في المجتمع العربي- الإتكالية- العجز- التهرب- الوعي والتغير للإنسان العربي والتحدي الحضاري، المثقف العربي والمستقبل الطبعة الثانية 1975.

44-وينفرد هبر – مدخل إلى سيكولوجية الشخصية-ترجمة:د. مصطفى عشوي- ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون- الجزائر 1995.

قائمة المراجع الأجنبية

- R.REMUND, Violence et Société Collectif les édition ouvrières- Paris 1969.
- Y.VES MICHAUD La Violence,2ème édition presses universitaire de France, 1988.
- GABRIEL MOSAR L'Agression que sais je ? presses universitaire de France 1ère édition Avril 1987.

المجلات والدوريات

- مجلة العربي – العدد 389- صادرة بتاريخ ربيع الآخر 1420هـ- أغسطس 1999.
- الثقافة الشعبية – تصدر عن معهد الثقافة الشعبية لجامعة تلمسان، العدد 2، عام 1415هـ.
- أحمد سيد محمد، البحث عن الشخصية من خلال الأمثال العامية- مجلة الثقافة – العدد: 65 الصادرة بالجزائر في أكتوبر 1981.

ملحق الأمثال

الشعبية الجزائرية

ملحق الأمثال الشعبية الجزائرية

أمثال باب العنف :

أ- بين الرجال :

اللي يداعى بالقوة يموت مذلول

"الطايق نطاق "

"أصل العداوة، المزاح"

"ما يصلح لا للعادة ولا للعبادة"

"الذيب الحيلي يتقبض من رجليه الربعة."

"كان ذبانة ولى ثعبان"

"اصطحبت الكلاب على عراقيب الساسي"

"المعتدي غلبان ولو كان سلطان"

"أولاد مسعود، يشووا الدهان على العود"

"هذاك ما عنده لا دين لا ملة"

"قد ما عنده الجاهل في جهله، قد ما عنده العاقل في عقله"

"فلان ما وراه غير العجاج"

مليح مع مليح عاشوا ڤانه، قبيح مع قبيح كلبين على ندامة."

"يكتلوا الميت ويمشوا في جنازته"

"ما تتغاطشي الشمس بالغربال"

"شيطان بني آدم اعور، وشيطان اليقر أبتر"

"ما مات ما ترك ناسه يرحلوا"

"يموت النفاق ويبقى الرزاق"

"فلان وفلان كلبين على عظم"

"الجهد يعلم العباز"

"الشلاوشية يصحبوك الصباح ويتركوك العشية"

"العدو ما يولي صديق، والنخالة ما تولي دقيق"

"كل قصير مكير"

"كل منقوص منحوس"

"فوت على الواد الهرهار ولا تفوت على الواد الصامت"

"الوقت راه تقلب. والحمار على العود يجلب"

"آش يخصك يا العريان؟ يخصني الخواتم يا مولاي!

"النفخة والعود كلخة"

"البغل ما ينسى الصكة واليهودي ما يقصد مكة"

"الغراب حب يمشي مشية الحمامة نسى مشيته"

"اللي فاتك بكبر الخيام، أعبر عليه بطول العمد"

"تارك الصلاه يقول لباب الجامع مبلع"

"هذاك ما عنده لا دين لا ملة"

"ما يصلح لا للعادة ولا للعبادة" ما ينفع لا للصدي ولا للعهدي"

"نهار معك ونهار ضدك"

"الجيعان إذا شبع حاله صعيب"

"هذاك ما عنده لا دين لا ملة"

"القلية ساهلة على رعيان الخيل"

"شاف الجديد لاح البالي"

"فلان عنده كلي القايلة كبرد الحال"

"إياك من العربي إذا اتقصرى"

"فلان داير جنب ذيب وجنب ثعلب"

"فلان كالحنش ما يحفر غار ما يبات برا"

"فلان يلعب على خيل الضياف"

"في الوجه مرحبا وفي القفا مندبا"

"يدخل بين الظفر والجلد"

"فلان يدير غير اللي أكحل من التوت"

"كدودة الحرير تغني غيرها، وتموت في سجنها.

"نبيح الكلاب، ما يشد السحاب"

"فلان كالبرطال ياكل ويقابل صاحبه"

"على من تقرا زابورك ياداوود"

"هذا كاللنج يغوي ويقطع المصور"

"والله يا الخادع لوادع"

"فم يسبح ويد تذبح"

"لعمش في بلاد العمي كحل العيون "

"واش حازك للدين الضيق"

"منين غليوه الديوكة رجع على موكه"

"الاسم عالي والبرج خالي"

"اللي ما جاك شتاه ما تخرص على ملقاه"

"إذا تصاكت الخيل تجئ في الضعيف"

"الخلطة تردي والجرب يعدي"

"أعلى الأصوات تصدرها الأواني الفارغة"

"دخلت النار بين الساق و التماق"

"اللي ما يقدرش عليه الشيطان في عام ، يديره القراص في ساعة"

"عمرك يا خماس الكرموس ما تشري برنوس"

"المرض يحط بالقنطار، والراحة تنزل بالوقية"

"الطمع يخسر الطبع"

"والله يا ذيبك ما يطلع عقبه"

"يديك للحود وين اللي مشى ما يعود"

"كثر همه واش بلمه"

"إذا غاب العقل حضر البلاء"

"كنيتها طال همي، حكيتها سال دمي"

"كل من حفر شي زرداب لخوه المؤمن يطيح فيه"

"بالاك يغزك بليس"

"الدنيا فايتة وتفوت، والحي فيها يموت، والطامع فيها مشموت"

"منين تمرض تعرف ربي، ومنين تبرا تعمل الزلة"

"لا تحاف الشين بافعاله. ليعود حالك من حاله"

"اللي يدس بزاف يموت بالزعاف"

"اخرج لربي عريان يكسيك"

"صفيها تبقى فيها"

"الكساء جريدي والعشا كريدي"

"المكسي بمتاع الناس عريان"

"أحباب والنية ما تنصاب"

ب- أمثال عنف الرجل على المرأة :

"لا تأمن الشتاء حتى يفوت ولا تامن عدوك حتى يموت"

"بعض النساء كلمتهم ما تتنسى ومرقتهم ما تتحسى"

"حمقى وقالوا لها زغرتي"

"سمهم يتبارق تحت العبارق"

"خلات رجلها ممدود ومشات تطل على محمود"

"النساء كيدهم ما يتنسى"

"ما زين النساء بضحكات لو كان فيها يدوموا"

"شمس لغيام تخرج النسا من الخيام"

"إلا مديت كراعي نجيب راع"

"يتحزموا بالفاع ويتخللوا بالعقارب"

"مشات للحمام وجابت أخبار عام"

"أنا ندير لها في الأخراص وهي تشرم"

"ما في الشتا ريح دافي، وما في النساء عهد وافي"

"إذا دخلت البير طول حبالك، وإذا دخلت التجارة طول بالك وإذا دخلت سوق النسا رد بالك"

"بالك تنسى وتأمن النسا"

"يتحزمو بالفاع ويتحللوا بالعقارب"

"الرجال كي الكسان والنسا كي الميمان"

"ولف النسا يخلي الديار"

"شاور مراتك وخالفها"

"شاور مرتك ودير رايك"

"ظاهر المرأة جنة وباطنها جهنم"

"المرأة نار إلا غفلت تحرقك"

"إلا حلفوا فيك الرجال بات راقد وإلا حلفوا فيك النساء بات قاعد"

أمثال باب السلم :

"الدين يشد الإنسان كاللازمة تشد الحصان"

"الطير الحر يشكر مباته"

"الطير الحر إذا أخطى يسمى فايت"

"يشكر السوق من ربح فيه"

* **"الدنيا سقيفة والآخرة دار"**

"القلب الأبيض يأكل القلب الأكحل".

"اللي ما عنده قلب يموت سمين".

"الهنا يضمن الغنا".

"كاد الحليم أن يكون نبيا"[1]

"إن الله رفيق يحب الرفق"[2]

---

[1] مختار الأحاديث.110

[2] صحيح البخاري، رقم 6415؛ صحيح مسلم رقم 4697؛ سنن الترميذي، رقم: 1629

"ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم"

"الرفق رأس الحكمة"

"الرفق في الأمور كالمسك في العطور"

"إن الله يحب الرفق في الأمر كله"

"ثمرة الحلم السلامة"

"الوافي ما يعافي"

"صاحبك لكان أعور، شوفه من العين الصحيحة"

"لا تأكل خوك فرسة، لا تعقب عليه جيعان"

"إذا قطعت الدبرة تبرا"

"اللي جاءت من يد الحبيب تفاحة".

"الله معاك والصبر دواك"

"بالرزانة يتباع الصوف"

"اللي ما صبر لخوه يصبر لعدوه"

"الصابر ينال"

"الصبر مفتاح الجنة".

"اللي يقول الكلمة يوفيها وإلا يموت فيها"

"اللي خرجت من الفم تسمى دين"

"صديقك من وافقك، لا من خالفك"

"الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق"

"وعد الكريم دين"

"وعد الصادق، أحسن من وعد الوارق"

"بالوفاء يدوم الإخاء".

"الجود بعد العرب بدعة"

"بيا عبستك ما بياش خبزتك".

"الكريم ربي كرمه"

"الكريم باحبابه، والبخيل بعيد"

"الكريم حبيب الله"

"الضيف ما يتشرط، ومول الدار ما يفرط"

"البركة في القليل"

"الخبز والماء، ما يخلي على القلب غمة"

"ما يشكي بالزلط غير ولد الحرام"

"خذ ما أعطاك ربي"

"قلة الماء ولا مغيضة الحال"

"ألبس ما ستر، وكل ما حضر".

"**عشة وعمود، ولا دار بالقرمود**".

"خذ ما أعطاك الله"

"اللي قنع، شبع"

"اللي ما كفاه قبره يرقد فوقه"

"خير الغنى القناعة"

"ما تضرب حتى تقرب، وما تصحب حتى تجرب".

"حبيبك من شاركك في الأفراح والأقراح".

"المحبة بحك الضروس ماشي بحب الرؤوس"

"خوك من واتاك ما هوش من ولاك"

"عند الشدة والضيق يظهر العدو من الصديق"

"واش يجيب النخل للدوم الزحاف".

"العدو ما يولي صديق والنخالة ما تولي دقيق".

"اللي جرح القلب ودماه واش من عين تلقاه"

"صاحب الأسعد تسعد، صاحب الأجرب تجرب"

"الخلطة تردي والجرب يعدي"

"قولي مع من تتمشى، نقول لك شكون أنت"

"الوحدة خير من جليس السوء"

"المؤمن: الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم".

"الحب كامن في الفؤاد كالنار في الزناد"

"من أحب أقواما على أعمالهم، حشر في زمرتهم"

"شرط المعاشرة ترك المعاسرة"

"لا يحبك من يحب عدوك".

"اللي ما يعاون خوه في الضيق، ما يصيب في الشدة رفيق"

"يد وحدة ما تصفق"

"الهم بالمتعاونة".

"السلطان بالتاج ويحتاج"

"المعاونة تغلب السبع".

"لكل شيء زكاة وزكاة الجاه إعانة الضعفاء".

"المرا الصالحة تجيب الذرية الفالحة"

"قلب القدرة على فمها تشبه البنت أمها"

"اللي ما رباته أمه ما يربوه الناس"

"الضرب ما يربي"

"اللي مربي من عند ربي"

"هيب لا تغيب".

"اللي بلا أولاد كلاه الواد"

"الدار بلا صغار كيف الدنيا بلا نوار"

"الدراري لولهم فاكية وتاليهم فاكرة"

"حيط الرمل لا تعليه، يطلع ويولي لساسه"

"ولد الناس لا تربيه يكبر ويولي لناسه"

"وكلني وشربني نعرف شكون ولدني"

"لبن الناس ما يسمى كسرة وولد الناس ما يطول العشرة"

"اضرب ولدك يولي لك، اضرب ولد الناس يهرب منك"

"اللي باع أرضه باع عرضه"

"ملس من طينك يسجى لك"

"تزوج المرا البعيدة، واحرث الأرض القريبة".

"عليك بالسانية القريبة والمرا الغريبة"

"البنت بنت أمها تعمرها ولا تخليها".

"الطايع والديه كل خير يجيه"

"إيلا خطا الكبير ما يبقى تدبير"

"ما يحمي القدور غير الجدور"

"طيعوا أولاد كم لتأكلكم النار"

"وكل وشرب واضرب"

"خذ الراي اللي يبكيك ويبكي عليك، مشي الراي اللي يضحكك ويضحك عليك"

"اقلب القدرة على فمها، البنت تشبه أمها"

"اضرب الكبير، يتعلم الصغير"

"النار تجيب الرماد"

"البنت لعمتها والولد لخاله"

"صنعة بوك، لا يغلبوك"

"أمشي مع ندك والبس قدك وتبع طريق بوك وجدك"

"اللي يتبع طريق بوه ما يعايروه"

"خوك خوك لو كان عدوك"

"خوك خوك لا يغرك صاحبك"

"خوك من أمك كي العسل في فمك وخوك من بوك كالعبيد بلا ناسبوك"

"قم ولا طلق"

"الزواج مشي ساهل"

"زواج لبدا فتشله عام"

"إذا حبيت تبني الساس، تزوج بنت الناس"

"ما تديش المرا المعفونة تتعاون هي والزمان عليك"

"الزواج بلا رضا كالحرث بلا روا"

"قصاص ولنصاص ولا بدل لعتابي"

"اخدم باطل وما تبقاش عاطل"

"الصنعة إذا ما غنات تستر"

"اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري"

"الرجل بلا سكة والمرا بلا ركة ورواح يالهم وتوكا"

"اللي خدمته في أظفاره، ما يجيه النوم في اشفاره"

"اضرب ذراعك تاكل المسقي"

"ضربة بالفاس خير من عشرة بالقادوم"

"إذا حبيت الهم عنك يزول عليك بسكة ومنجل"

"من طلب وجدّ وجد"

"السعر تحت المنجل"

"استعينوا على حوائجكم بالإبرام"

"تخدم الليل والنهار وما نمدش يدي للرجال"

"الرجل من الفحم يجيب القفة باللحم"

"اليدين الموسخين يجيبوا الدراهم"

"لا بد من مال يعيش به، وداخل القبر يلزمه الكفن"

"خديم الناس سيدهم"

"خادم الرجال سيدهم"

"الحر حر والصنعة ما تضر"

"الكساب اللي يمل الحركة يفقد البركة"

"أحرث بكري ولا روح تكري"

"الانتظار نزع بلا موت"

"اللّي يحب الدنيا يبكر لها واللي يحب الآخرة يبكر لها"

"الحركة بركة"

"كلّ شيء بالأمل غير الرزق بالعمل"

"كلّ امرئ في شأنه ساع"

"بقّ نعليك،. وابذل قدميك"

"راس الكسلان، يسكنه الشيطان"

"راس البطال فيه ألف شيطان"

الفهرس

فـــهـــرس

إهداء

كلمة شكر

مقدمة ..... أ

تمهيد 7

الفصل الأول: مفاهيم العنف ودلالاتها في المثل: 17

أولا: مفاهيم العنف 17

I- مفهوم العنف 18

أ- العنف لغة 18

ب- العنف اصطلاحا 19

1- العنف من وجهة نفسية 19

2- العنف من وجهة سوسيولوجية 33

II- أشكال العنف 40

أ- العنف المباشر 40

ب- العنف غير المباشر 41

ثانيا: دلالات العنف في المثل الشعبي 43

العنف الاجتماعي 45

أ- بين الرجال 45

ب -عنف الرجل على المرأة 74

1- المرأة والغريزة الجنسية 74

2- كيد المرأة ومكرها 76

الفصل الثاني: السلم و أبعاده في المثل الشعبي 84

أولا: معاني السلم 84

ثانيا: أبعاد السلم في المثل الشعبي 87

1- البعد الأخلاقي 87

1- عزة النفس.....88
2- الحلم والرفق.....90
3- العفو عند المقدرة.....91
4- الصبر.....93
5- الوفاء.....95
6- الكرم.....96
7- القناعة.....98
8- الصداقة.....101
9- التعاون.....104
2- البعد الاجتماعي في المثل الشعبي.....105
1- الأسرة في الأمثال.....107
2- المرأة الزوجة والمجتمع.....118
3- قيمة العمل في المثل.....121
ثالثا: النتائج تحدد الجدلية.....130
خاتمة.....136
قائمة المصادر والمراجع.....139
أولا: المصادر والمراجع العربية
ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية
ثالثا: الدوريات
ملحق الأمثال.....145